بِرْدِيدَا

Pérdida

رواية

داليا أسامة

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 7529/ 2019

I.S.B.N: 978-977-6642-67-6

تصميم الغلاف: حسن العربي.

الإخراج الفني: ضياء فريد.

المراجعة اللغوية: أميرة أسامة

المديـــر العـام: إيناس ناصر.

المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

Logarithpublish@gmail.com

٠١٢٨١٠٥٢٨٢٤

أُهديها إلى قلبٍ
تحمَّل تقلُّبات مزاجي طيلة فترة كتابة
العمل..
إلى روحٍ لم تكترث سوى لنجاحِه..
إلى عقلٍ أنار ذهني لتعديل أخطائي
المُتكررة.
إلى مَن أعانني على النهوض مجددًا بعد
سقوطٍ حالِك!
ذلك العمل وما هو آتٍ مِلكٌ لك..

1

21 مارس 2012

المكسيك 7:00 am

في إحدى شوارع تلك البلدة الهادئة ومع بداية الفصل البديع؛ الشوارع تبدو كحديقة غناء؛ حيث تتعرف عائلات الأزهار على بعضها بروائحها المنبعثة في أرجاء أزقة المدينة، تنمو الأغصان هزيلة القوام معلنة حضورها، الآن ونحن في فصل الألوان؛ والأزهار التي بدأ نَسيمها يتسلل ببطءٍ لإحدى النوافذ الزجاجية لتنتهك وبدون استئذان حاسة الشم الخاصة بـ (**ميرا**)..

ميرا فتاة الشرق الأوسط أو كما ينطقونها في المكسيك Chica de oriente medio، إحدى فتيات عروس البحر المتوسط وابنة أحد أكبر رجال الأعمال في المكسيك، هي الكبرى والأولى والوحيدة لـ (**فريد الخولي**)؛ تدرس الفنون بالجامعة الوطنية المستقلة في مكسيكو العاصمة، عيناها العسليتان سر هوس شبان المكسيك بها فقلما تجدهما في فتاة مكسيكية الأصل، بشرتها قمحية متناثر عليها ما يدعونه بالنمش،

لكن وجنتيها تبدوان كالأرض المبعثر عليها رمال الجنة، ليست طويلة أو قصيرة لكن شرقيتها تبدو عليها بوضوح مما أضفى على جمالها جمالًا من نوعٍ آخر، نعم تشبه أزقة الإسكندرية وحواريها الدافئة، هي شتاء لا يطل بمكانٍ إلا والتفتت لنقائه رمال الأرض!

استيقظت في السابعة من صباح الجمعة بالقليل من نسمات الهواء التي تحضر خصيصًا لمداعبة رقبتها بتحريك خصلات شعرها الأسود اللامع كالدر؛ فتنتبه لتلك المداعبات الرقيقة ويبدأ الهواء عمله برؤية عينيها وهما ينفتحان وينغلقان ببطءٍ.

نهضت من فراشها بابتسامةٍ واثقة وذهبت إلى الحمام، وبعد غضون دقائق كانت قد أنهت استحمامها وشرعت في ممارسة إحدى هواياتها التي تمسكت بها منذ طفولتها؛ وهي تحضير الإفطار الذي اعتادت تحضيره منذ اقترابها من أدوات المطبخ، أضاءت نور غرفة والدها وخطت داخل الغرفة برفق، ثم بدأت في مناداته بصوتها الناعم حتى يستيقظ ويتناول معها الإفطار قبل مغادرته المنزل.

ـ بابا، قوم الفطار جاهز، يللا علشان ما تتأخرش ع الشركة.

فتح فريد عينيه فاستطردت:

ـ صباح الورد يا بابا، عايز دلع كل يوم ولا إيه؟!

ابتسم لها متأملًا بجانب عينيه، ومن ثمَّ أخبرها بإشارةٍ من يديه أن تذهب وسوف يلحق بها إلى السفرة على الفور.

كان فريد الخولي طالب بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، ولد بالمعمورة ونشأ مع أسرته في شقةٍ متواضعة بإحدى الحواري وهم ليسوا بالأغنياء، منذ أن تفتَّح وعيه وهو ينظر للحياة من أفقٍ بعيد تمامًا.

عمل فريد بعد تخرجه بإحدى شركات السياحة مع صديق عمره نوح، هناك رأى لأول مرةٍ فتاة بأوائل العشرينات من عمرها تصغره بثلاث سنوات، مكسيكية الجنسية، تُدعى لورين، وقع فريد في غرامها كما أخبرها أو ربما غرام جسدها وجنسيتها،

وفي خلال ثلاث سنوات تزوجها وانتقل معها إلى المكسيك، حصل هناك على الجنسية التي طالما حلم بها شباب جيله، عمل في الكثير من المطاعم والمحلات التجارية إلى أن تحصَّلَ على مبلغٍ ساعده على بناء شركةٍ استثمارية خاصة به، خلال سنتين أصبح من أصغَر رجال الأعمال سنًا في مكسيكو وأكبرهم مركزًا ونجاحًا، عند بلوغه سن ٣١ أنجبت له لورين ابنته الأولى ميرا، نعم قد كبر به السن لكن استثمارات فريد وبناء كيانه واسمه أهم وأولى من كونه أبًا أو أن يُولي اهتمامًا لبيته وزوجته التي أصبحت كقطعة خردة في مصنع مهجور.

بعد خمس سنوات من ميلاد ميرا طلبت منه لورين الطلاق فهو لا يصلح أن يكون أبًا أو زوجًا مثاليًا؛ هو فقط رجل أعمال في ذروة المثالية، أطلق فريد سراح لورين لكنه أصر على الاحتفاظ بطفلته.

جلس فريد وابنته على السفرة بعد أن ارتدى بدلته الرمادية وتناول جريدته الصباحية؛ ليتمحص الأخبار كإحدى عاداته اليومية، وبعد لحظاتٍ بدا على وجهه الامتعاض فزفر قائلًا:

- إيه اللي بيحصل دا؟

- خير يا بابا؟
- أسهمنا بتنزل كل يوم بشكل مش طبيعي أبدًا.
- يا بابا ما هو كل يوم تطلع وتنزل إيه الجديد؟!
- يللا خير.. ما قولتليش، لابسه كدا ورايحه على فين؟
- جاية معاك الشركة، النهاردة الجمعة ومفيش دراسة وفاضية وأصحابي مشغولين؛ فقلت آجي أونِّسَك ولا هضايقك يا سي بابا؟

ضحك عاليًا، ثم أجابها:

- لا طبعًا دي شركتك تنوريها وقت ما تحبي.

منذ فترةٍ لم تذهب ميرا مع والدها لترى ما يدور بالشركة فانحسرت حياتها في ثلاثةِ أشياء ليس إلا؛ الأولى: دراستها؛ فهي موهوبة منذ نعومة أظافرها في رسومها، واندماج ريشتها بالأوراق سحر يُبدل مجرى تفكير من ينظر إليها؛ لذلك التحقت بكلية الفنون أملًا أن تُحقق شيئًا عظيمًا في هذا المجال، أما الثانية: فهي الموسيقى؛ فـ (**ميرا**) كالكثير من فتيات بلدتها تهوى الموسيقى بل تعشقها، لكن اختلف ذوقها عن أصدقائها، فمنهم من عشق الجاز، ومنهم من أحب الروك، لكن ميرا كان لأذنيها وحسها الفني رأيًا آخر، فأصبحت ألحان بليغ حمدي تتغلغل في شراييها كالأكسيجين، وتلك الأهازيج الجميلة التي تبعثها فيروز لتداعب أوتار قلبها، أما الثالثة: فرغبتها في العودة لمصر، لم ترَ ميرا مصر من قبل، أصدقاؤها في مصر قلة، تعرفت عليهم عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي كـ Facebook، instgram وغيرهما، لكن ومع ذلك لديها رغبة عارمة في زيارة تلك الأرض التي تُعد وطنًا لها أو ربما سمعت أنها كذلك!

دخلت مع والدها الشركة وحيَّت الموظفين تحيتهم المعتادة بالأسبانيه Buenos dias، واتجها لمكتب والدها:

- حبيبتي تقدري تقعدي في مكتبك من زمان ماتفتحش.
- حاضر ولو احتاجت حاجة السكرتارية موجودين وانا موجودة.

في مكتبها؛ جلست على ذلك الكرسي الجلدي وقررت أن تستخدم حاسوبها لتشاهد ما يدور في Facebook الخاص بها، لا بُدَّ أن هناك الكثير والكثير من الإشعارات والرسائل من أصدقائها وكذلك متابعيها؛ فهي لم تفتح ذلك الموقع المزعج منذ أربعة أيام؛ لأنها انشغلت بأمورها الدراسية.

٨٥ إشعار و٤ رسائل تنتظرها، فقط ٤ رسائل!

قبل أن تفتح تلك الرسائل قامت بتشغيل إحدى أغنياتها المفضلة لفيروز:

«**البنت الشلبية.. عيونها لوزية**

بحبك من قلبي.. يا قلبي انتي عينيا

حد القناطر.. محبوبي ناطر

كسر الخواطر.. يا ولفي ما هان عليا»

بدأت في فتح الرسائل بوجهٍ مقتضب، لكن قد بدا عليها السعادة بعد سماع الألحان الفيروزية، إنها من صديقتها في الحي المجاور لِحيها روز ستيفان:

- Where are you Mira? I miss you، I haven't seen you since that day.
- I'm sorry I was very busy. I miss you too، dear.

- Will you come to tonight's party?
- No، Rose، I'm so tired. I'll stay at home.
- OK darling. See you later.

أغلقت ميرا حاسوبها بعد أن سئمت هذا النوع من المحادثات السخيفة، واعترى وجهها الامتعاض والكثير من التساؤلات عن تلك الحياة التي يعيشها الآخرون، حفلات، ورق وسهر وشرب وفتيان، ثم ينتهي بهم الأمر لارتكاب إحدى الأخطاء أو إلى الاكتئاب الحاد، ما هذا؟!

أيقظها من تساؤلاتها صوت (**فيروز**):

«يا حبيبي أنا عصفورة الساحات..

أهلي نذروني للشمس والطرقات..

فتحتْ مرة أخرى ذلك اللاب توب لتجد صفحة أحدهم، أحد هؤلاء الشخصيات ذا الكثير من المتابعين على Facebook، لا تعلم ما الذي جذبها لتقوم بفتح تلك الصفحة لكنها استجابت لرغبتها وفتحتها، وجدت مجموعة من تلك المنشورات البائسة كـ (**كان يشعر بالوحدة**) و(**يخذلك الجميع.. إذًا لا مفر لك من الوحدة**) و(**الواحد حرفيًا بيعيش أسوء أيام حياته**)، بدأت ميرا تكتب تعليقًا على آخر منشورٍ له: "**الحياة مش كلها بؤس، بص على الجانب الإيجابي شوية**"، ثم قامت بمسح التعليق؛ فهي تعلم الكم الهائل الذي ستتعرض له من المهاجمات؛ فأعادت إغلاق الفيسبوك.

الإسكندرية

25 مارس 2012

«**قولي بس موافقة ومن الفجرية هابقى عندك، بحبك يا مريم**»، قالها أحمد وصوته يتراقص من فرط السعادة، ثم أغلق الهاتف.

جلست مريم تُفكر في ذلك الحلم الذي لطالما تمنته منذ أن كانت في الصف الأول الإعدادي، حلمها بأن تتزوج حبيبها وزميل دراستها، رفيق كفاح تسع سنوات بأكملها، لكن ما الذي طرأ على قلبها؟! لماذا تشعر وكأنها لا تريده؟! لماذا تشعر وكأنها تُدمر حياته بيديها؟! ماذا فعل لها أحمد ليعتريها ذلك القلق؟! أغلقت مريم هاتفها الخلوي، وارتدت التنورة السوداء وتلك البلوزة الحمراء القصيرة التي لطالما عشقها أحمد، وذهبت لصديقتها المقربة أمل، وعندما التقت عيناهما انفجرت مريم في البكاء بين ضلوع أمل، ثم نظرت إليها في قلقٍ وعينين باكيتين:

- أنا مبقتش عارفة أنا رايحه على فين، اتعلقت بيه أكتر مما تخيلت، مَلَك قلبي، بقيت بصحى كل يوم وانا عندي أمل بسبب وجوده بس!
- لازم تقولي له، لازم يعرف بمرضك، محدش ها يُقف جنبك ولا ها يستحمل قد أحمد، وبعدين رفضك إنك تعملي العملية هو اللي وصلك للمرحلة دي.
- يستحمل إيه؟ يستحمل إنه يعرف إن عندي سرطان؟ طب يستحمل إنه يتجوزني ومايجبش أولاد ولا يبقى أب زي ما حلمنا علشان هشيل الرحم؟ إنتي فاهمة بتقولي إيه يا أمل؟
- طب اهدي بس اهدي.

أخذت عيناها تذرف جهدها بين أحضان أمل في قهرةٍ وألم، مرض مريم ليس مجرد مرض جسدي؛ بل هو مرض بعشق أحمد؛ فحبها الحقيقي جعلها تتجاهل وجود الموت وأصبحت الحياة بالنسبةِ لها لا تُحتمل، كأن قلب أحمد عاش الدهر ملحدًا وهي أول من آمن بها، في داخلها دمع يكفي لينبت ألف وردة وشجيرة ياسمين.

بعد أن هدأت مريم قامت بفتح صفحتها على فيسبوك لتكتب ما بداخلها كما يفعل البعض لعلها تشعر ببعض الارتياح!

كيف سيتحمل أحمد صدمة فقدان حبيبته؟ وإذا نجت ولم يفقدها كيف سيتحمل الحياة من دون أن يصبح أبًا؟ بل كيف ستستطيع مريم إخباره؟ بالطبع لن تستطيع إخباره بسبب نفورها، لكنها قررت أن تكتفي بالانسحاب، ستنسحب مريم من حياته، من حبها.. من صداقاتها.. من عائلتها.. ستنسحب هروبًا من مواجهة الواقع المؤسف.

ـ الحقني يا أحمد أنا في مصيبة الحقني.

قالتها أمل بعد أن اعتراها الفزع من هول ما رأت.

ـ إيه في إيه يا أمل؟

ـ مريم قاطعة النفس ومابتنطقش.

ـ بتقولي إيه؟! طب انتوا فين؟ طب حصل إيه فهميني؟

ـ أنا واخداها وطالعين ع المستشفى، تعالى بسرعة مريم بتموت.

ما إن سمع أحمد تلك الكلمات المريعة حتى أصبح تائهًا ضائعًا لا يرى سوى غماماتٍ سوداء لن يكبحها سوى رؤية مريم تضحك وتلعب وتجادل فهو يكره هدوءها.

(**لا أريدك صامتة، أفيقي وثرثري وتزمَّتي ولا تتساهلي معي، أفيقي وغرِّدي بصوتك كما كنتِ تفعلين، لا تفري في ذاك السُبات**) قالها عقل أحمد..

قصد أحمد المستشفى اللعينة لعله يطمئن على حبيبة عمره، لا بل هي ذاك الوطن الذي لطالما عارك الحياة لينعم به، جرى بين طرقات المستشفى ضائعًا لا يستحوذ عليه إلا رؤيتها «**مريم.. مريم.. مريم.. أين أنتي يا زهرتي البرية؟**»

رأى أمل تخرج مسرعة من تلك الغرفة، بالطبع تلك هي الغرفة التي حُجزت بها مريم، ما هذا الشرود الذي خيَّم على أمل؟ أيعقل أن يكون قد أصاب مريم مكروهًا؟ أيعقل أن تُجرى عملية مفاجئة؟! نظر أحمد إليها وقد اغرورقت عيناه بالدموع:

- مريم فين يا أمل طمنيني؟ مريم حصل لها إيه؟! فاقت صح؟ قولي إنها بقت كويسة ما توجعيش قلبي.

لمح أحمد الحزن الساكن في نظراتها وعدم قدرتها على النطق أو توضيح ما حدث، ثم اتجه إلى الطبيب في لهفةٍ.

- لو ربنا ادانا أمانة وحب ياخدها، نعترض؟

نظر أحمد للطبيب في دهشةٍ:

- في إيه يا دكتور؟ مريم إيه اللي حصل لها؟!
- البقاء لله، للأسف دا حصل نتيجة جرعة مهدئات زايدة، ومن الواضح إنها كانت معتادة على المهدئات دي، لكن الجرعة المعتادة مابقتش بتأثر فأخذت جرعة زيادة عن اللزوم، الدم تسمم وانتشر بسرعة وبسبب يأسها وضعف إرادتها عملنا اللي علينا ومقدرناش نلحقها.

نشبت كلمات الطبيب كالحريق في خلايا قلبه، وقعت عليه وقع الصاعقة المهلكة، «**ما الذي يحدث؟! أتركتني حبيبة روحي وغادرت، أم أنها غفلت بعض الوقت؟! لا بد أنها تمزح، أو أنها غارقة في نعاسها لفترةٍ طويلة من اليوم كما تفعل دائمًا!**» رُدِّدَت تلك الكلمات في ذهن أحمد، التفت إلى أمل ومسك ذراعيها بفتك وقسوة وكاد أن يسبح في دموعه:

- مخبية إيه عليا؟
- مريم كان عندها.. cancer..
- إيه؟
- مريم اكتشفت بس من ٣ شهور؛ نزيف مش طبيعي.. ألم مش بيفارقها.. ألم.. ألم.. زهقت وقررت تكشف وتعمل الأشعة والتحاليل المطلوبة، وكانت صدمة عمرها.. سرطان في الرحم في مرحلة متقدمة والحل حاجة واحدة؛ الاستئصال، الوجع بقى ٣؛ وجع المرض، ووجع إنها مش ها تبقى أم، ووجع بُعدها عنك اللي كان عندها يقين إنه بيقرب.

أكملت أمل بعد صمتٍ دام لثوانٍ:

- خوفها ماكانش من الموت، خوفها كان عليك، خوفها كان من الفراق، كانت بتقول: «**محتاجة أأقول والحوجة للقوالة وجع**»، رفضت تعمل العملية، رفضت تقول لك، حتى أهلها رفضت تحكي لهم، رفضت تشوف الوجع في عيونكم، كانت بتقول: «**بحب رُعبه وقلقه عليا بس دا مش قلق، أنا لو قلت له هقتله بإيدي**».

نظر لعينيها وقد أصابه العجز وأوشك على الانهيار، هوى أحمد أرضًا في صمتٍ.

- جت لي البيت امبارح منهارة م العياط.. حكت لي إنك بقيت مستعد وقادر تخطبها في أسرع وقت ومابقتش عارفه تعمل إيه؟ تفرح علشان حلم حياتكم ها يتحقق وها تملكها وتملكك، ولَّا تحزن علشان مش قادرة تقول لك؟ سبتها تعيط لحد ما نامت، صحيت الصبح لقيت علبة المهدىء فاضية وهي واقعة على الأرض، وحصل اللي حصل.

تأملا بعضهما ولم تكف دموعهما عن التحرر من أعينهم وكاد الألم يشق صدريهما.

- آسفة يا بابا ماكنتش أعرف إن عندك حد.

قالتها ميرا عندما دخلت مكتب والدها في منزلهما الفارِه، ذلك المنزل الذي فاق جميع معاني البهاء والوقار.

- لأ تعالي، لسه كنت هناديلك.. أعرِّفك (**سائر النقراشي**) من أصغر وأنجح رجال الأعمال والعملاء اللي بيتعاملوا معانا.

مد سائر يده ليسلم عليها، ثم قام بتقبيل يدها مُحافظًا على اتيكيت التعامل مع المرأة.

- Bonjour آنسة ميرا..
- Bonjour أستاذ سائر..

تأمل سائر عينيها لثوانٍ، ثم استطرد:

- إنتي أجمل من كلام كتير سمعته عنك.

نظرت له في امتنانٍ:

- شكرًا كتير أستاذ سائر، دا من ذوقك بس.

تدخَّل فريد ليقاطعهما:

- سائر من اسكندرية يا ميرا زيي، أعتقد لحد دلوقتي مقابلتيش هنا حد من اسكندرية.

- تقريبًا يا بابا.. على كل حال فرصة سعيدة جدًا.. أستأذنكم.

لم تهجر عينا سائر الفتاة إلى أن انصرفت خارج المكتب، كالإرهابي حين يصنع فتنة طائفية؛ فتنت ميرا فريد وعقله وقلبه وعينيه.

- كدا اتفقنا يا سائر، تقدر تيجي الشركة بكرة نمضي العقود.

قالها فريد واستطرد:

- نورت.

ثم مد يده مُصافِحًا..

- بابا أنا احتمال أتأخر النهاردة شوية، في حفلة عند روز ولازم أكون هناك النهاردة.

- ماشي يا حبيبتي، أهم حاجة تكوني مبسوطة.

- ربنا يخليك ليا.

- ويخليكي ليا يا بنتي.

انصرفت ميرا استعدادًا للذهاب لحفل صديقتها المكسيكية روز، لم تضع مساحيق التجميل كما الفتيات اللائي لا يثقن في جمالهن، بل اكتفت بوضع القليل من الكحل ليُبرز جمال عينيها السوداوين، تركت شعرها الأسود يتحرر على كتفيها، وارتدت فستانًا أسودًا طويلًا يبرز جمال

أنوثتها، لم ترتدِ الكعب العالي، بل ارتدت حذاءً أسودًا لامعًا مفتوحًا يكاد يلامس الأرض، وشرعت في الذهاب للحفل.

لم تُقرر الذهاب للحفل لأجل روز، لكنها سئمت الوحدة، سئمت الحياة الروتينية، قررت الذهاب لعلها تتعرف على أُناس جدد، لعلها تخرج من وحدتها ولو لساعاتٍ معدودة.

ـ كنت بدأت أزهق من الحفلة.

تفوَّه بها سائر في الحفل عند رؤيته ميرا تنظر حولها في ضجر، التفتت إليه:

ـ أستاذ سائر، مش معقول! شفتك مرتين في يوم واحد!

قال سائر مازحًا:

ـ لو أزعجتك أنا ممكن أختفي حالًا.

ـ لا أبدًا مقصدش.. استغربت مش أكتر.

ـ ملِّيتي؟

ـ جدًا.

في تلك اللحظة صعدت إحدى مقطوعات الموسيقى الشرقية التي لطالما عرفت روز بعشق ميرا لها، وإذ فجأةً أحكم سائر ذراعه حول خصرها وجذبها نحوه، تأملت عيناه عينيها جيدًا وبدأت أقدامهما في التحرك بانسجام مع تلك الألحان الساحرة، علمت ميرا حينها أنها بين يدي إنسان يجيدً العزف على أوتار الجسد ببراعة.

وتوقفا بعد غضون دقائق.

ـ سرحتي في إيه؟

قال سائر لتعود ميرا من شرودها؛ فتأففت قائلة:

- متجوز؟
- لأ لسوء حظي.
- ليه؟ إنت شخص ناجح ووسيم.
- تقدري تقولي مالقتش المواصفات اللي عايزها!
- لو سألت أي حد ها يقول كدا على فكرة، أنا عايزة أعرف السبب الخفي.. اللي ما بيتقالش على طول.
- مقضيها.
- نعم!
- زي ما سمعتي، كل يوم بحكم شغلي ببقى في حفلات زي دي، تبدأ علاقة وتخلص تاني يوم الصبح على سريري.
- وطبيعي إنك تقول الكلام دا لواحده ما تعرفهاش إلا من ساعة وما تعرفش عنها غير اسمها؟!
- يمكن عشان إنتي غير أي حد.

نظرت له بِسأمٍ من تلك الكلمات المعتادة التي لطالما سمِعتها بكثرة، ثم استطرد:

- وِحده.
- مش فاهمة.
- عيونك بتنطق وِحدة.

نظرت له ميرا في حنقٍ، ثم فرت مسرعةً إلى سيارتها تاركةً الحفل والناس وذلك المُتصنِّع.

السعادة الزائفة؛ ما أبشعها!

كنت شبه نائمة أو في يقظة، رأيت غابة فخمة ممتدة، أضواء تتلألأ، أضواء تنبعث، ضحكات تنطلق في لهو وبهجة، في ضجيج وجرأة.

أناس يذهبون ويحضرون، يتمايلون، يتدافعون، ما تلك المناسبة؟ كيف أتيت لهذا المكان؟ لا أدري..

ألن أغترف من السعادة قبل أن أغادر هذا المكان؟ ما زلت أجول في المكان أبحث عن عناصر السعادة التي توافقني.. لا لست أعرفهم، ليسوا لي بأصحاب، هناك أغاني وموسيقى، لا لن أشارك فيها، الكؤوس والأكواب تتلألآن تحت الأضواء، أنظر إليهم.. إنهم يتبادلونها ويتداولونها، يبدون في غاية النشوة، لا إنني لا أشبههم، لا أريدهم» جال هذا في ذهن ميرا..

نهضت من فراشها في حنقٍ ومن ثمَّ ذهبت لوالدها لتخبره بما قررت محاولةً نسيان تلك الليلة الماضية:

ـ أنا هنزل مصر.

حدَّق بها في صدمةٍ من واقع قرارها، متى ولماذا اتخذت هذا القرار؟ بل ما الذي ذكَّرها بمصر؟!

ـ إنتي بتقولي إيه؟! إزاي قررتي كدا وكأني مش موجود؟!

ـ لا دا أكيد بعد موافقة حضرتك طبعًا، أما ليه دي بقى فأنا ملِّيت هنا، لفيت كتير وشفت كتير بس مصر عايزة أشوفها، عايزة أعرف شكل الوطن!

ـ ما عنديش مانع.

نظرت له في امتنانٍ فاستطرد:

ـ تقدري تبدأي تجهزي الإجراءات من النهاردة لو حبيتي.

قبَّلته قبلة شكرٍ ثم انصرفت لغرفتها، بمعنى أبرز «**عالمها الخاص**»، قامت بتشغيل إحدى أغانيها المفضلة التي تسمعها عند شعورها بالانتصار أو السعادة..

"**قلتله لا تخاف اتطلع شوف الشمس اللي رح تطلع..**

اتطلع عالغاب وشاف امواج الحرية بتلمع..

شاف جوانح عم بتزقزق من خلف ابواب العلية..

شاف الغابة عم بتحلق على جوانح الحرية".

قالتها (**عايدة الأيوبي**) وكانت ميرا تتمايل وتعلو وتُحلق كالفراشة الحرة في نشوة.

◈

كان قد مر أربعة أيام على وفاة مريم، دخلت والدته لتوقظه من نعاسه:

ـ أحمد اصحى.. اصحى خد العلاج حتى!

نظر لها أحمد في عبوسٍ بعد أن هزَّ رأسه بـ لا، نعم هز رأسه!

فقد أحمد القدرة على النطق منذ ذلك اليوم إثر صدمة عصبية.. لا بل إثر عدة صدمات مروعة، موجعة، قاتلة!

ـ لازم تفوق يا حبيبي وترجع لحياتك، عارفة إنها صعبة أوي ومهما حصل محدش هيحس بوجعك، بس ماتقهرش قلب أمك عليك!

سمعت والدته جرس الباب، ذلك الجرس المزعج عطَّلها عن استبطان ما بداخل وليدها الوحيد، اتجهت مسرعة لتفتح الباب وفوجئت بأمل صديقة مريم الأولى والوحيدة، نظرت لها في شجنٍ وزفرت:

- اتفضلي يا بنتي.
- ازيك يا طنط، وأحمد إيه أخباره؟
- أحمد بيروح مني يا أمل.

بكت أمل حين تذكرت ذلك المشهد اللعين، ذاك اليوم الدميم.

- الصدمة ماكانتش واحدة يا طنط، كانوا ٣ وأخدهم ورا بعض، أحمد وجعه ما حدِّش ها يحس بيه، كانت وما زالت بالنسبة له كل حاجة.

سيطر الصمت بضع دقائق، أكملت الفتاة:

- هستأذن أنا يا طنط واتمنى إنه يبقى بخير في أسرع وقت.
- فيكي الخير يا بنتي، يا رب يبقى كويس.
- هكلمك اتطمن عليه ولو احتاجتوا أي حاجه أنا موجودة، مع السلامة.

انصرفت أمل مودعة تلك الأم الشاجنة، تُرى ما الذي يشعر به أحمد بعد أن ذهب من أوجدت معنى لحياته؟ ذهبت من كان يتنفس هواءها.. ذهبت بلا رجعة.

- مش هاقدر أنزل ورايا شغل كتير جدًا.

زفر بها فريد عندما طلبت منه ميرا أن يأتي لمصر معها، لكنه كان في عنادٍ تام؛ فالأمر ليس مجرد انشغاله بالشركة أو بالصفقات، شيء ما يجعله عند سماع اسم مصر تتبدل حالته تمامًا..

ـ تمام، كان نفسي نروح سوا علشان مبقاش لوحدي مش أكتر ونتبسط سوا.

هدأ فريد بعدما أدرك أنه انفعل بشدة ودون داعٍ، ثم قبَّل رأسها واستطرد:

ـ عايزك تتبسطي هناك.

بدأت ميرا في تجهيز إجراءات السفر، في كل خطةٍ لها كانت تشعر أن هناك شيئًا ما ينقصها؛ لن تجده إلا عندما تذهب إلى مصر، لذلك البلد الذي لم تخط إليه منذ أن أتت إلى هذا العالم.

◈

ـ بعد إذنك ممكن تشيلي موبايلك علشان أقعد؟

قالها رامز صفوان في الطائرة المتجهة لمصر، ستصل أرض مصر في غضون سويعات قليلة، تلك الطائرت التي تحمل العديد من الأجناس والألوان من البشر.

ـ آاه طبعًا اتفضل.

تطلعت ميرا جوارها لتلتقي عيناها بعيني رامز! لا لا ليسا بعينين؛ إنهما مجرات، مجرات لامعة فتنتها، كلمعان السلاسل، كلمعان سيوف ميادين القتال، لم تستطع إبعاد نظرها عنه، من هذا؟! من أين أتى؟!

كما فُتِن هو أيضًا بها، فُتن بهدوئها، وجمالها البسيط الأخاذ، ورقة صوتها الذي كاد يشبه هديل الحمائم، ورائحتها كما القهوة أشد من تأثير الكافيين على خلايا المخ، وكأنهما لم يريا بشرًا من قبل، وكأنهما يولدان.

◈

- رامز صفوان.
- ميرا فريد الخولي.

نظر لها رامز وكان في صدمةٍ من هول ما سمع، وقد اعتراه شيءٌ من الإرتباك والاضطراب، فأكمل هو:

- بنت أشهر رجل أعمال مصري في المكسيك؟! اتشرفت بمعرفتك.
- حقيقي وانا كمان.
- تحبي تسمعي وتِعرفيني أكتر ولَّا هزعجك؟!
- لأ أرجوك تتكلم، مستحيل ها تزعجني.
- نعم!

ردت وقد بدا عليها شيءٌ من الخجل وارتعش صوتها:

- أقصد... اتفضل مفيش إزعاج ولا حاجة.
- رامز صفوان، ابن مراد صفوان، واحد من المستوردين في مصر ووالدي صاحب واحد من مطاعم إسكندرية، بالتحديد في المعمورة.

قاطعته في دهشةٍ:

- بجد؟! أنا من المعمورة.

أكمل ممتنًا لما سمع:

- خريج كلية ألسن قسم English، عندي ٣٠ سنة.

أكمل وهي تتأمله في هدوءٍ:

- ماسك مطعم بابا وحاليًّا بحضَّر الماجيستير وبشتغل على إني أستقل.

- جميل، إنسان ناجح، بتفكرني بـ بابا.

رد متجاهلًا تلك العبارة:

- طبعًا ها تسألي بعمل إيه في المكسيك وهي مالهاش علاقة بحياتي الخاصة ولا بشغلي، في الحقيقة أنا كنت هناك سياحة.. تغيير جو.. كنت عند صديق ليا هناك.
- متجوز طبعًا.
- لأ، وشايف إنه لسه بدري، لسه مالقتش اللي تخطفني، تخطفني من الدنيا كلها وتجبرني بعيونها بس أحارب العالم علشانها.

قالها وهو يتأمل عينيها في شرود، لكنها قاطعت شروده قائله:

- زي ما قلت لك، اسمي (**ميرا فريد**)، بنت فريد الخولي الوحيدة، أمي تقدر تقول معرفش عنها حاجة غير اسمها، بابا هو كل حاجة في حياتي، أنا ٢١ سنة.

قاطعها في صدمةٍ:

- هاتقولي لي يا Uncle على كدا!

ضحكت في انسجام وقد بدا عليها الارتياح.

- إيه دا! ضحكتك حلوة جدًا!

قالها بعد أن فتنته ضحكات شفتيها، فكانا يُشبهان عناقيد العنب المتدلية.

- ها يا ستي، كمِّلي.
- اتولدت في المكسيك، ودخلت المدرسة هناك والكلية طبعًا، أنا في كلية الفنون، أول مرة أنزل مصر، ما شوفتهاش أبدًا.

- يااااه، يبقى أبوكي من المعمورة وراجل بيسافر دايمًا وماتشوفيش بلدك ولا مرة!
- بالظبط.
- طب وليكي حد هناك ولا لأ، ونازلة فين؟
- لأ ماليش، ماليش غير واحدة صاحبتي، إحنا أصحاب من ٣ سنين، عرفتها من Facebook ونازلة في أوتيل أسبوعين مش أكتر.
- طب أطلب منك طلب لو تسمحي؟!
- أكيد.
- أي حاجة ها تحتاجيها كلميني على طول، أنا ابن بلدك بردو، ولّا إيه؟

قالت مبتسمة:

- أيوه طبعًا، أوعدك أي حاجة هاعوزها هكلمك على طول.

◈

«**حمد الله على السلامة، نورتي مصر**» قالها موظف الجوازات في ابتسامةٍ مصطنعة كتلك التي يبتسمونها في الحفلات والمناسبات الاجتماعية؛ تلك الابتسامة الساذجة!

ركبت ميرا سيارة الأجرة ذاهبةً إلى المعمورة، لم تشعر بهذا الشعور من قبل، شعور بالرغبة في احتضان ذلك الهواء، يتملكها الإحساس بالانتماء لتلك الأرض.

قد وصلت إلى العروسة، أقصد هنا قد وصلت إلى عروس البحر الأبيض المتوسط، إسكندريتنا العزيزة، رائحتها أشبه بحضن الأم الذي لم تتذوقه ميرا من قبل.

ـ باقي قد إيه وقت؟

قالتها لسائق الأجرة، فرد في مللٍ وتأفف من زحمة الطريق وطول المسافة:

ـ بتاع ساعة ونص أو ساعتين كدا يا آنسة، آديكي شايفة الزحمة.

ـ زحمة كدا على طول؟

ـ كل يوم وكل ساعة يا آنسة.

ـ فتحت جهاز الـ I pod الخاص بها لتستمع لبعض الأغنيات لمطربتها المفضلة فيروز، لتُذهب عنها ملل الساعة ونصف القادمين وهي تتأمل شوارع عروس البحر المتوسط.

«**بُعدك على بالي.. يا قمر الحلوين.. يا زهر بتشرين.. يا دهبي الغالي**»

أغمضت عينيها لبضع دقائق، ثم فتحتهما مسرعةً في فزعٍ، ما هذا الذي رأت؟! إنه رامز وهو يبتسم تلك الابتسامة الساحرة، حقًا! حقًا لم تغب عن بالها منذ أن رأتها، ما الذي فعله بها؟! لقد اجتاحها!، نعم ذلك هو الاجتياح.

ـ أنا مش مصدقة نفسي، إنتي متأكدة ولَّا بتضحكي عليا؟!

قالتها (**رهف عبد الحميد**) وهي تُحدث ميرا هاتفيًا.

ـ أيوه أنا هنا وبكلمك من أوتيل في المعمورة، وعايزة أشوفك ونخرج واشوف إسكندرية.

سكتت للحظاتٍ، ثم تابعت في حزنٍ:

ـ إسكندرية اللي معرفش عنها غير اسمها مش أكتر.

ـ نازلة في أوتيل! إزاي بس وانا رُحت فين؟! إنتي ها تيجي عندي من بكرة.

ـ لا لا مش ها ينفع يا رهف، خليني على راحتي هنا، غير إني كدا كدا معرفش غيرك هنا.

ـ خلاص على راحتك، تحبي أجيلك دلوقتي أساعدك في حاجة؟

ـ لا شكرًا، هارتاح النهاردة علشان تعبانة من السفر، ومن بكرة الصبح ألاقيكي في وشي ها!

ـ إنت تؤمر يا قمر.

ضحكت ميرا ضحكةً خافتة، ثم أغلقا الهاتف، وذهبت ميرا إلى سريرها لترتاح بضع ساعاتٍ قبل أن يُقبِل صباح اليوم التالي، فهنا اليوم يعني لها الكثير والكثير، سترى أقرب أصدقائها إلى حدٍ ما.

- يعني مش ناوية تتكلمي يا سمر وتقولي روحتوا فين وحصل إيه؟!
- أمل سيبيني في حالي بقى، أنا مش غلطانة، وعارفة بعمل إيه كويس أوي.
- إنتي بتقولي إيه يا أم ١٧ سنة انتي! عشنا وشوفنا والله، جيل إيه المهبب دا؟!
- ممكن تسيبيني أذاكر!
- أنا هسيبك، بس أقسم بالله مش ها ييجي الليل النهاردة إلا وبابا عارف، أنا بحاول أساعدك واخلصك من كل دا وانتي رافضة، يبقى منك لأبوكي بقى.

نظرت لها وتأففت، خرجت أمل من غرفة أختها الصغيرة بعد أن أغلقت الباب خلفها في عنفٍ، كيف لها أن تتحمل وفاة أقرب صديقاتها، وما حدث لـ أحمد إثر صدمته، وزاد على هذا ما تفعله شقيقتها سمر، أخبرتها صديقة سمر أنها رأتها تركب مع شاب سيارةً فارهة أكثر من مرة

بعد انتهاء يومهم الدراسي، وعندما سألتها أكثر من مرة كانت مرة تنفي ومرة تتهرب إلى أن سئمت ذلك الجدال بدون فائدة، فقررت استخدام أبيها كوسيلة ضغط على سمر لتخبرها من هذا؟! وإلى أين كانا يذهبان؟! وماذا فعلا؟! وما علاقتها به؟ ومتى بدأت؟!

ـ بابا عايزة أتكلم معاك في موضوع كدا.

سمعت سمر تلك الكلمات التي زفرت بها أختها الكبرى فدق قلبها وارتعشت من فرط الرعب، ثم نادتها في خوفٍ:

ـ أمل تعالي عايزة آخد رأيك في حاجة.

ـ عن إذنك يا بابا هشوف سمر بسرعة واجيلك تاني.

دخلت الغرفة وأغلقت عليهما الباب بإحكام، ثم قالت:

ـ عرفتي إن انتي ما بتجيش غير بالتهديدً؟!

ـ أنا هحكي، بس توعديني الكلام ما يوصلش لبابا!

ـ أوعدك، اتفضلي.

شرعت سمر في البكاء، ازدادت انهيارًا وبدأت تحكي في أنينٍ بعد أن زاد قلق أمل وتوترها:

ـ اسمه رامي، عنده ٢٣ سنه، خلَّص كلية تجارة، والعربية اللي كنَّا فيها عربية باباه.

قاطعتها في عصبيةٍ:

ـ هو انا بستعلم عنه في الأحوال المدنية؟! خلَّصي وقولي عرفتيه إمتى وإيه اللي بينكم؟!

- حاضر، بنحب بعض، عرفته من ٣ شهور أما كنت في خطوبة أخت صاحبتي في الكافيه، اتكلمنا أول أسبوع في التليفون بس.

سكتت لثوانٍ؛ فناولتها أمل كوب ماءٍ، ثم أكملت:

- بعد كدا بدأنا نتقابل، كنت بغيب من دروس كتير علشان أشوفه، جالي كذا مرة المدرسة بس كان بيستناني بعيد، ماتوقعتش إن حد يشوفني، واما كنت بركب معاه كنا بنروح نقعد في كافيه شوية، بس.

زفرت سمر كلمة «**بس**»، ثم نظرت لها أمل بعد أن رفعت وجهها وقالت:

- متأكدة إنه «**بس**» يا سمر؟
- أيوه بس هايكون في إيه يعني؟!

قالتها سمر في حنقٍ، فأمسكت أمل بيد أختها وقالت:

- إيدك اللي بترتعش دي مش بتقول كدا ومش قادرة أقتنع.
- من أسبوع ويومين الدروس كلها اتلغت، واليوم كان عندي فاضي، فقررت أكلم رامي علشان مش عايزة أروح البيت، فقُلت يمكن نخرج، جالي بالعربية ومشينا لحد ما وقف قدام عمارة، وماكانش في مطاعم ولا كافيهات في الشارع، سألته قال لي انزلي، طلعنا ووقفنا قدام شقة، طِلْعت شقته طبعًا ومفيش حد عندهم في الشقة، قلت له لأ أنا همشي قال لي لأ ها نقعد الساعتين بتوع درس الإنجليزي هنا وتروَّحِي واهو أشوفك واشبع منك، طبعًا دخلنا وقعدنا ربع ساعة نتكلم في هدوء لحد ما اطمنت إن خلاص، فجأة بدأ يلمس شعري ويقول لي «**شعرك حلو أوي**»، وبعدين قرب مني وبدأ..

سكتت سمر دقائق بعد أن كادت تنهار من البكاء، فقاطعتها أختها:

- حصل إيه كمان؟

- لا محصلش، مشيت بسرعة وبس.

حمدت أمل الله في سرها، لكنها لم تتمالك أعصابها فصفعتها على وجهها بعنفٍ، ثم نظرت في الأرض محاولةً أن تتماسك حتى لا يلاحظ والدها ما يحدث بالداخل، خرجت في صمتٍ بعد أن حاولت رسم بعض السعادة الزائفة على شفتيها لكي تبدو طبيعية لأقصى حد، لكن ما كان بعينيها وقلبها من همومٍ وأحزان كان أقسى من أن يختفي بسهولة.

- طيب قولي لي عنوان الأوتيل يا ميرا وهاتلاقيني عندك علشان هاتتوهي لو خرجتي لوحدك.

استجابت لصديقتها ضاحكةً، أخبرتها ميرا بالعنوان وجلست في الريسيبشن الخاص بالأوتيل في انتظارها بعد أن وضعت السماعات المتصلة بالـ I pod في أذنيها لتملأ لحظات الانتظار المملة التي لطالما بغضتها، ومن لا يبغضها!

بدأت (**فيروز**) أو كما يلقبونها بياسمينة الشام في تغريد إحدى مقطوعاتها الفاتنة:

يا هوا يا هوا ياللي طاير بالهوا..

في منتورة طاقة وصورة..

خدني لعندن يا هوا..

لمست تلك الكلمات أوتار قلب ميرا إلى حد الدموع، نعم فجعلتها تلك الكلمات تدمع دموع اشتياقٍ لبلادها، دموع ألمٍ لفراقها تراب تلك البلد الذي لطالما أحبته رغم البعد..

رأتها قادمة من بعيد.. رأت رهف آتية تبحث عنها في لهفةٍ للقائها لأول مرة، لم تتخيلها ميرا بهذا الجمال، في الواقع هي أجمل بمراحل من الصور التي رأتها ميرا على مدار الـ ٣ سنوات الماضية، نادت على رهف فالتفتت لها وأتت مسرعة، ارتسمت على شفتيها البهجة، ثم لم تمض ثوانٍ إلا وكانت ميرا بين ذراعي رهف وقد بدأتا في نوبةِ نشيجٍ متواصلة؛ حتى كاد نزلاء الأوتيل أن ينتبهوا، ثم هدأتا بعد عناقٍ دام دقائق:

- ياه، أول مرة حد يوحشني كدا، بس انتي أجمل من الصور بكتير.
- على فكرة إنتي اللي أجمل بكتير، إنتي مش شايفة نفسك ولا إيه؟

ابتسمت ميرا وقالت:

- أخبارك إيه؟!
- أنا الحمد لله كويسة وبقيت كويسة أكتر لما شفتك.
- طب يللا نمشي من هنا، مش متخيلة مشتاقة أشوف إسكندرية قد إيه.

انطلقت الفتاتان في سعادةٍ بالغة لتقضيا أطول وقت ممكن في أحضان الإسكندرية سويًا.

- ها تحبي تاكلي إيه يا ست ميرا؟

قالتها رهف لصديقتها في إحدى مطاعم المعمورة التي اتسمت بنقوش مملوكية كالتي توجد داخل قبة مسجد «**المرسي أبو العباس**» المبني على الطراز العربي والأندلسي.

- هاكل على ذوقك، بس حاجة مصري ١٠٠٪ ومفيهاش غربي خالص علشان ملِّيت الغربي.

أتى الجرسون بعد أن نادته رهف، نظر لهما في ابتسامةٍ واسعة وقال:

- أهلًا آنسة رهف نورتي المكان، تؤمري بإيه؟
- ربنا يخليك والله، شوف بقى.. الآنسة ميرا أول مرة تيجي مصر وعايزين نظبطها، عايزاك تجيب لي ملوخية بالأرانب وكفتة ع الفحم وظبطنا سلطات من اللي قلبك يحبها.
- تؤمري بحاجة تانية؟
- لا شكرًا.

انصرف الجرسون، ثم أكملت رهف:

- هتاكلي هنا اللي هايكيفك وعلى ضمانتي.
- هانشوف.

شرعا في شرب عصير البرتقال المفضل لدى رهف.

- بس إيه دا؟ إنتي طلعتي مشهورة هنا، إنتي بتيجي هنا على طول؟
- أنا بصحى هنا وبنام هنا وحياتي كلها هنا.
- إمممم واضح.

لم تُكمل ميرا جملتها، تطلعت أمامها في دهشةٍ، ما هذا الذي تراه؟!

- إيه يا بنتي تنَّحتِي كدا ليه؟!

لم ترد عليها ميرا، فهي لم تسمعها في الحقيقة، شردت سريعًا فيما رأت، نظرت رهف خلفها لترى ما الذي خطف ذهن ميرا هكذا.

- رامز تعالى.

قالتها رهف عندما رأت رامز يقف خلفها فانتبهت ميرا لما سمعت:

- إنتي تعرفيه يا رهف؟

- استني جاي أهو واسأليه، بس خدي هنا! إنتي تعرفيه منين؟!

قاطعها رامز:

- يااااه، مرتين في أسبوع واحد أشوف بنت (**فريد الخولي**)!

- إزيك يا رامز.

قالتها ميرا في نشوةٍ مفرطة.

- أنا! كويس جدًا.

سكت لحظات وأكمل:

- جدًا جدًا يا ميرا.

- أنا هنا يا شباب على فكرة!

تفوهت بها رهف في ذهولٍ.

- أخبارك إيه يا رهف وأخبار عمي إيه؟

- إحنا تمام يا سي رامز بس فهمني كدا، إنت تعرف ميرا ازاي ومن إمتى؟

- أعرفها يا ستي من حوالي كدا يوم وكام ساعة.

نظرت له في دهشةٍ فأكمل:

- في طيارة أول امبارح، إنتي ناسية يا بت إني كنت في المكسيك!

ـ أهاا فهمت.

ـ رامز يبقى ابن عمي يا ميرا.

ـ أيوه بالظبط كدا أنا ابن عمها بس بتعاملني كأني جوز أمها!

ضحكت ميرا وردت:

ـ أنا مش عارفه إيه الصدمات والصُدف الجميلة اللي حصلت لي النهاردة دي! بس كدا أقدر أستنتج إنك مشهورة هنا علشان دا مطعم أبو رامز.

ـ بالظبط كدا، اسم الله عليكي نبيهه يا بت!

جلس معهما رامز وأخذوا يتحدثون ويضحكون كما لم يعرفوا الضحك من قبل!

ـ هاستأذن أنا بقى عشان عندي شغل كتير، وبصراحة مش قادر أسيب القعدة الحلوة دي بس غصب عني.

تلفظ بها رامز بعد ساعة ونصف من الثرثرةِ المتواصلة، فردت ميرا متسرعة في انفعال:

ـ طب خليك شوية بس.

ثم استطردت:

ـ قصدي.. نكمل كلام يعني.

فنظر لها وقد ملأ عينيه السرور ورد في رقةٍ:

ـ أكيد هاشوفك تاني.. أكيد.

أكملت رهف:

ـ طيب احنا كمان هانستأذن علشان نلحق نلف في البلد شوية قبل ما الوقت يتأخر.

رد بدون انتباهٍ لوجود ابنة عمه:

- سلام يا ميرا.

- إنتي بتوأوئي ليه؟!

قالتها أمل لأختها الصغيرة سمر، ردت سمر:

- هاتقولي لبابا؟

- وهو المفروض أسكت على اللي جنابك عملتيه؟!

- والنبي يا أمل.. والنبي ما تقولي لحد علشان خاطري.

زفرت بها سمر في استعطافٍ وكان قد غلبها البكاء.

- تمام أنا مش هقول لحد.

صمتت لثوانٍ، ثم أكملت:

- بس بشروط؛ أول حاجة: مفيش دروس، أنا هذاكر لك هنا لحد ما السنة دي تخلص، والمادة اللي ها تصعب عليا هاجيب لك مدرس فيها هنا، تاني حاجة: الموبايل هاخده مش هاتشوفيه إلا اما تتعدلي، أما أبوكي وامك أنا هعرف أفهمهم، ما هما مش ناقصين.

نظرت لها سمر نظرةً ترجوها بخفض العقاب لكنها لا تجرؤ على الاعتراض، فما فَعلته يستحق أن تُعاقب عليه بالقتل وليس الحبس فقط.

- اللي تشوفيه.. حاضر يا أمل حاضر.

- تمام، أما اشوف يا سمر.

اقتربت أمل من أختها، ضمتها إلى صدرها، انفجر شلال من عيون سمر ندمًا على ما فعلت.

- عارفة يا سمر أنا بحبك قد إيه؟
- أيوه عارفة.
- طب وبتعملي فيَّا كدا ليه؟! أنا بموت بالبطيء من يوم ما مريم ماتت، وانتي بتموتيني أسرع، عملتي كدا ليه؟! ليه يا بنتي؟!
- أنا آسفة يا أمل، مكنتش فاهمة وفكرته بيحبني فعلًا، أنا آسفة.
- خلاص يا حبيبتي اللي حصل حصل ومش ها نعرف نمحيه ولا نغيَّره.. بس نعرف نغير اللي جاي للأحسن.. ولا إيه؟!
- أيوه صح، عندك حق.
- خلاص يبقى نتفق وتوعديني.
- أوعدك.
- أنا هطلع بقى وهاسيبك تذاكري شوية، ولو عايزة أي حاجة أنا برا.
- ماشي حاضر.

مضت أمل محاولةً إخفاء ما بقلبها من ندباتٍ وجروح، مضت لترى ما الذي ينتظرها، ما الذي يُخبئه لها هذا العالم المُفزع من أوجاع، تلك ليست أوجاع كأوجاع الجسد؛ بل أوجاع روح.

- مالك يا أمل؟ حالك مش عاجبني يا بنتي، عدَّى كتير على وفاة مريم وانتي زي ما انتي كأنها ماتت امبارح!

ما إن سمعت أمل والدها يذكر اسم مريم حتى بدأت في نوبة بكاءٍ متواصلة، مريم لم تكن كأي شخصٍ بالنسبةِ لها، فقد كانوا أصدقاء منذ المرحلة الابتدائية؛ صديقة عمرها، وصاحبة ذكرياتها، مَن كانت تكشف سيئاتها عند مواجهتها بعينيها، خانها الزمن وأخذ منها من كانت حرفيًا قطعة من روحها.

- مريم وحشتني أوي يا بابا، أنا ناقصني كتير أوي من يوم ما مشيت.
- أنا عارف هي بالنسبالك إيه، وعارف موجوعه عليها قد إيه، وعارف كمان إن اللي شفتيه من ليلة ما باتت عندك لحد يوم العزا التالت منها ومن خطيبها اللي اتدمر بردو مش هين ولا سهل، بس انتي بنتي، فاهمة يعني إيه بنتي؟! يعني ماقدرش أشوفك كدا واسكت، اسمعي مني بس، الدنيا مش بتقف على حد، شوية والدنيا هتاخدك وها تشتغلي، مش قصدي طبعًا إنك ها تنسي، لا مستحيل ها تنسي، إنتي ها تفتكريها وها تدعي لها بالرحمة، قصدي متعمليش في روحك كدا، حاولي تضحكي وتغيَّري جو، حاولي علشاني، وعلشان أمك الغلبانة دي، وبعدين خدي هنا يا بت، هو الواد خطيبك دا بيكلمك ولا لأ؟ وعاملين إيه مع بعض؟!

تذكرت أمل خطيبها، خطيبها الذي لم يُحدِّثها مند أن ماتت مريم سوى مرتين ليس إلا، خطيبها الذي بدأ الجفاء يتملَّك منه، خطيبها الذي لا تعرف عنه سوى تلك الدبلة فقط!

- الحمد لله يا بابا كويسين وبيكلمني، ربنا معاه في شغله أكيد وراه هموم كتير، ومسيره يعني يفضى خالص فترة.
- ربنا يهديكي يا بنتي ويسعدك.

- إيه يا سائر مش ناوي تنزل بقى! عايزة أشوفك، سائر المفروض إنت تبقى أول حد جمبي في الظروف دي، المفروض كمان إني ما قولش الكلام دا.

تلفظت أمل بتلك الكلمات وهي تُحدِّث خطيبها في الهاتف، قالتها في حنقٍ منتظرة من يخفف عنها، من يكون بجانبها في أصعب أيام حياتها، أجابها:

- أنا مش فاضي يا أمل، وبعدين ما انتي مع أبوكي وأمك أهوه يعني مش محتاجة أكتر من كدا، أنا عندي كذا صفقة الأيام اللي جاية، يخلصوا بس وهتلاقيني عندك.
- إنت متأكد من اللي بتقوله؟! وجودي مع أبويا وأمي معناه إني مش محتاجة أكتر من كدا!
- بقول لك إيه، اطلعي من دماغي دلوقتي، هاخلَّص اللي في إيدي ونتكلم في متأكد ومش متأكد.
- بجد! طيب يا سائر بيه، سلام.

أغلقت أمل الخط مسرعةً في انفعال، ما هذا الكائن الذي لا يستطيع مجرد المحاولةِ أن يشعر بها؟ بل وما هذا الحب الملعون الذي جعلها

تتحمل وتصبر كل هذه المدة؟! فما سائر إلا إنسان جامد المشاعر، لا يهمه أو يشغله سوى صفقاته وسفره الدائم.

- إنتي يا بنتي ما تصحي من النوم بقى، أنا هنادي بتوع الأمن يشيلوكي يرموكي في البحر علشان تصحي.

ابتسمت ميرا وهي لا تزال مغمضةً عينيها:

- هقوم أهوه، هقوم والله، هقوم يا زنانة.
- بقى أنا زنانة! باااااس بااااس هي كده خلصت، أنا ماشية.
- هههههه.. استني بس، قولي لي هانروح فين النهاردة؟
- إمممممم النهاردة مش هانروح في حتة.
- ولما احنا مش هانروح بتصحِّيني ليه يا رخمة؟!
- يا بت قصدي مش هانخرج، إنتي معزومة يا ستي عندنا النهاردة اليوم كله.
- إيه دا، بجد؟!
- هنخع عليكي يعني؟!
- هنخع!!
- أيوه كدا خليكي مش فالحة غير في التريقة، أقول لك! خليكي نايمة أنا ماشية.
- لا لا بهزر يا روتي هقوم ألبس حالًا.

نهضت ميرا من فراشها وكانت الساعة قد قاربت الثانية عشر ظهرًا، استعدت وقررا المغادرة سريعًا رغبةً في سرقة الكثير من المتعةِ والبهجةِ سويًا.

لست أدري ما الذي في العالم أكثر إبداعًا بين مُسمَّيات العلاقات أكثر من الصداقه، مهما كثُرت فروع شجرة العلاقات في حياة أي شخص سيظل الصديق الحق وحده من بإمكانه القيام بجميع الأدوار، وحده يستطيع امتصاص غضبك، تقبُّلَك كما أنت، وكذلك احتضانك وقتما يشوبك الوهن ولا تستطيع مواجهة العالم!

- إزيك يا طنط.
- الحمد لله يا حبيبتي، حمد الله على سلامتك.
- الله يسلمك يا طنط.

قالتها ميرا، وحيَّت باقي أفراد المنزل، ثم اتجهتا إلى غرفة رهف مسرعين.

- ها هتغيَّري هدومك هنا ولا في الحمام؟
- لأ هغيرها هنا.
- خلاص هطلع بره، خلَّصي ونادي بس.

انتهت ميرا من تبديل ملابسها، ارتدت عباية بيضاء مليئة بالفراشات البنفسجية.. وتركت شعرها ينسدل على ظهرها في انسيابيةٍ مفرطة، لم تضع نقطةً واحدة من مساحيق التجميل؛ فهي حقًا ليست في حاجةٍ إلا للنظر إليها مُطوَّلًا استمتاعًا بجمالها الأخَّاذ، كانت كالقمر ليلةْ تمامه، لن يستطيع (**شهريار**) بذاته تمالك نفسه أمام فتنتها!

- اتأخرت عليكم؟!

قالها رامز عندما وصل منزل عمه.

انتفضت ميرا من مقعدها، فلم يكن هناك غيرها في الصالة، فقد ذهبت رهف للمرحاض، أما والدتها فكانت تعد الطعام في المطبخ..

- إيه دا! ميرا عامله إيه؟
- كويسة الحمد لله.

أكمل رامز وقد بدا عليه الارتباك وتلجلجت حروف كلماته:

- وحشتيني.. أقصد.. بقالي ٤ أيام ما شوفتكيش واحنا ماتعودناش على كدا.

ردت ميرا ضاحكة:

- وآديك شوفتني يا رامز.
- إحم إحم أنا هنا.

قالتها رهف بعد أن شاهدت ذلك المشهد من خلف الستار..

«**أنا مش فاهمة بيقرب منها بالشكل دا ليه؟ رامز ليا أنا، ميرا مش هتاخده مني، ميرا مش هتاخده مني مهما عملت**».

دارت تلك الكلمات بذهن رهف وكادت النيران أن تُعلّ قلبها، فـ رهف تعشق رامز منذ صغر سنها، قامت بالكثير والكثير لتلفت انتباهه أو تكسب قلبه لكنها لم تستطع؛ فـ رامز صعب المنال، بلغ الثلاثين عامًا ولم تستطع أية فتاة حيازة قلبه، كيف لـ ميرا أن تحظى بتلك المشاعر منذ أول لقاء؟! كيف لـ ميرا أن تملك كيانه بهذا الشكل؟!

بالطبع هو لم يُصرِّح بمشاعره لكن بفضل الحاسة السادسة الخاصة بالأنثى استطاعت رهف معرفة ما يدور بقلب رامز.

بعد أن انتهى هذا اليوم عادت ميرا إلى الأوتيل في المساء لترتاح؛ فربما الغد شاق، ربما سترى رامز مرة أخرى، وربما ستذهب لتُبدل ميعاد رحلتها للمكسيك؛ فهي تريد البقاء أكثر، تريد استنشاق هواء بلدها العزيز، تريد المكوث مع رهف أكثر، تريد الاستمتاع بعيون رامز أكثر!

استرخت ميرا على سريرها بالأوتيل بعد أن استبدلت ملابسها، قامت بتشغيل إحدى أغنياتها المفضلة لمطربتها الفاتنة فيروز.. تلك الأغنية التي كانت تستمع إليها في شرفة منزل رهف عندما فاجأها رامز بقدومه وأخذ يُدندن معها بعد أن أحضر لها القهوة التي لطالما عشقتها.

في قهوة عالمفرق.. في موقدة وفي نار..
نبقى أنا وحبيبي.. نفرشها بالأسرار..
جيت لقيت فيها.. عشان اتنين صغار..
قعدوا على مقاعدنا.. سرقوا منا المشوار..

بدأ عقل ميرا في استرجاع ما دار بينهما من حوار:

- تفتكري أنا ماتجوزتش ليه لحد النهاردة؟!
- إنت قلت قبل كدا علشان ما لقيتش اللي تخطفك..
- وتفتكري هافضل مستني اللي تخطفني كتير؟!
- معرفش، الله أعلم.
- بس تعرفي.. أنا اتخطفت يا ميرا.

- ومين سعيدة الحظ؟
- إممم.. عايزة تعرفي يعني؟
- والله دي حاجة خاصة بيك وانت حر.
- طب اسمعي، هقول لك مواصفاتها.

سكت لبرهةٍ، ثم أكمل متأملًا عينيها:

- عينيها زي نقطتين قهوة في كوباية لبن.. كل ما بقرب منها متر بشم ريحة الجنة.. أقرب...

اقترب منها أكثر واستطرد:

- الله!
- إيه في إيه؟
- ريحة الجنة؛ حلوة بشكل!

وضع كفها الأيسر بين كفيه واستطرد:

- إيديكي متلجة كدا ليه؟! دا حتى القهوة سخنة والجو جميل!

ارتجفت ميرا وعُقد لسانها عن الحديث، جذبها إلى حضنه في اندفاع، همس في أذنها بعد أن تأكد من أنها استسلمت لحضنه:

- خطفتيني يا ميرا.

أجابت بعد تنهيدةٍ طويلة:

- بحبك!

الحب من أول نظرة أو أول لقاء يجعل الناس يفقدون عقولهم ومنطقهم في غضون بضع ثوانٍ، هو إحساس قوي جدًا حتى أنه في بعض الأحيان يصعب السيطرة عليه، يمكن أن يحدث في أي وقت ، وفي أي مكان؛ في الحافلة؛ في الشارع؛ وفي الطائرة! الإحساس بحرقة حب فريدة، زوبعة من العواطف، لقد أصبح كل شيءٍ مختلف، «أنا أبكي، أنا أضحك، تحت المطر، في البرد، لا أفكر إلَّا في شيءٍ واحد.. هو أنت.. أنا حرفيًا وقعتُ في حبك!

وكانت أغانينا حواس

عيناك، يا معبودتي، منفى

نفيت أحلامي وأعيادي

حين التقينا فيهما

محمود درويش

- إزيك يا طنط.. أنا أمل، إيه أخبار أحمد النهاردة؟
- أحمد جاله انهيار عصبي امبارح، واتنقل مستشفى للأمراض النفسية، ابني بيروح مني يا بنتي.

زفرت أم أحمد تلك الكلمات في حنقٍ، ثم أكملت:

- مش بياكل ومش قابل كلام من حد، طول الوقت منهار، وبنغلب على ما بنهدِّيه، بيهدى بالعلاج وبس!

- مش عارفة أقول لك إيه يا طنط، بس اللي في أحمد فيَّا، يمكن أنا ماسكة نفسي شوية، أنا كل فترة هاروح المستشفى اطمن عليه، ربنا يرجعه لكم بالسلامة يا رب.. سلام.
- يا رب يا بنتي.. سلام.

مرارة الفراق المؤلمة، ذاك الجرح الغائر الذي لا تُمحى آثاره حتى بمرور الوقت، كالحياة بلا ماء، الفراق كالطيران بلا أجنحة، ألم يمزق الأحشاء، دموع تنسكب، لقاء فرحيل؛ فوداع يحطم القلوب.

قررت أمل الذهاب لأحمد في المستشفى لتطمئن على حالته، وقبل أن تذهب بساعتين هاتفها سائر على غير العادة:

- إزيك يا حبيبتي.
- حبيبتي! على كل حال أنا كويسة الحمد لله.

وبعد السؤال عن أحوال أسرتها وعملها وأحوال مصر بأكملها سكت للحظاتٍ، وأكمل:

- عندك حاجة النهاردة؟
- أيوه، نازلة كمان شوية.. رايحة مستشفى المعمورة.
- خير يا حبيبتي فيكي حاجة؟
- لأ، رايحة أزور أحمد واشوفه بيتحسن ولا لأ.

زفر بعد أن بدا على صوته الغضب:

- هو كان من بقية عيلتك يعني علشان تزوريه؟ إنتي بتستعبطي أكيد.

- لأ يا سائر مش بستعبط، وهو مش من بقية عيلتي، بس مريم قبل موتها قالت لي أسأل عليه على طول، غير إن هو زي أخويا من زمان، إنت ناسي إنه بيحب مريم من زمان وكنا في مدرسة واحدة سوا!
- بس اللي أعرفه إنك واحدة مخطوبة وعلى وش جواز، واللي بتعمليه دا ما ينفعش.
- والله! طب هو فين خطيبي دا؟! سأل عليا كام مرة؟ عرف إن أنا تعبانة ونزل من سفره يشوفني؟ طب سأل إيه اللي فيا تاني بعد موت مريم ما عدَّا عليه كتير؟! طب بيكلمني أكتر من مرتين في الأسبوع؟ فين خطيبي دا؟

صمتا لبرهةٍ، ثم تابعت حديثها:

- أنا نازلة يا سائر، سلام.
- حسابنا بعدين، خدي بالك من نفسك، سلام.

هذا هو سائر يتحدث متى يروق له، كائن لا يمت للآدمية بـ صلة، يتصنَّع الغيرة وقتما يحلو له، لا يحب أمل على الإطلاق، ولا يشعر بحبها له برغم ما يفعله بها، يعشق اللعب بمشاعر من هم حوله، لطالما قالتها له أمل لكي يعي ما يفعل «**كما تدين تدان**»، ولكن عقله الفاسد لا يستطيع تقبل تلك الكلمات، فهو لا يلعب بالفتيات؛ بل يلعب بنفسه لأنه عديم الثقة بذاته.. يشك في أقربهم منه، يستطيع ترك حفرٍ في وجه أي روح صافية، قد يُفقِد سائر الطرف الآخر الإحساس بوجوده، يتظاهر بالحب والقلق على أمل عندما يسنح له عمله بالفرصة، يكذب ويعلم أنه كاذب.

ظلت أمل تحاور نفسها تائهة ضائعة: «**الناس بتتمنى تخلص من الوجع النفسي علشان ترتاح، بس أنا تقريبًا متعتي في الألم دا ووجع القلب، أنا مش هفضل كدا، لازم أدوس على كل اللي ييجي عليا حتى لو بحبه أوي، لازم**».

ستظل تقنعهم أنها بخير حتى تجد نفسها مستيقظة في الرابعة فجرًا تُفكر في كل شيءٍ وفي اللا شيء في الوقت ذاته، فبعض الأوجاع لا تُحكى؛ تبقى في الجوف ليس إلا.. فما أروع الصمت في دهرٍ مليءٍ بالثرثرة!

◈

مضى يومان على ميرا وكأنهما أول أيام حياتها بعد ولادتها، كالطفلة التي لا تبحث إلا عن السعادة، لا يشغل ذهنها سوى البسمة التي تُرسم على شفتيها؛ والتي ترسمها في قلب رامز..

- إيه سرحانه في إيه؟
- مفيش، البحر جميل أوي.

صمتت لبرهةٍ واستطردت:

- زيك يا رامز.
- أسألك سؤال؟
- أكيد.
- إيه مفهوم السعادة بالنسبة لك؟
- السعادة عندي عامةً من فترة كدا بقت تتمثل في كلمة واحدة بس، رامز!

لف يديه حول خصرها من الخلف، ثم رفعها لأعلى حتى أن قدميها صارتا محلقتان في الهواء، جال بها كثيرًا، لم يتركها إلا بعد أن طلبت منه بإلحاح.

- إيه، مبسوطة؟

- أنا عمري ما كنت مبسوطة زي وانا بين إيديك.

نظر لها وقد اتسعت حدقتا عينيه، اقترب منها حد الالتصاق وبدأت عيناه تذرفان دموعهما، انتشرت الدماء على قميص ميرا الأبيض، أمسكت برامز في لهفةٍ:

- إيه اللي حصل يا رامز؟ رامز في إيه؟ مين دول؟ مين اللي عايز يقتلك ويبعدك عني؟

- م... م... ميرا، أنا بحبك!

كانت تلك آخر كلمات نطقها قبل أن ترحل روحه للقاء ربها، رحل وكأنما تحققت أمنيته الأخيرة، هلك وهو بين ذراعي حبيبته الأولى والوحيدة والأخيرة، لكن ما هذا الغباء؟! يبدو كأنه لم يكن يعلم أنها ستهلك معه.

نظرت له في ثوانيه الأخيرة وأخذت تتأمل ذرات وخلايا وجهه للمرة الأخيرة، مسحت على شعره ووجهه؛ فهي لا تريده أن يرحل وهو يبكي، قبضت على جسده في حضنها الذي أصبح كالسكاكين تقطع بها دون رحمة، نظرت للسماء، لم تذرف عيناها دمعةً واحدة، أخذ قلبها ذلك العهد اللعين؛ لن تبكي، لن تبكي الآن على رامز؛ فلم يحن الوقت بعد!

هذه الروح تشتاق إليك
هذه الروح لك تشتاق
ومضيت وكأنما أعجبك الفراق
وتركت الذي كان بيننا للنار والاحتراق
هي الروح، هي الروح تشتاق

محمود درويش

بعد مرور يومين على وفاة رامز..

لم يتبدل حال ميرا لا للأسوأ ولا للأفضل، كما هي لا تبكي.. لا تُحدَّث أحدًا سوى رهف، أدركت أنها ولدت لتبقى وحيدة، أدركت أنه لن يكون لها من تحيا لأجله، من تترك العالم بمساوئه وما به من فراق وبؤس لتبقى معه، وعندما وجدته رحل هو الآخر، يا لقسوة هذا الكون.

عندما تدق ساعة الرحيل معلنة الفراق، تلك البداية فقط، فهو رحيل يتفنن في شواء المشتاق، يهلك مستودع الذكرى، هدوء.. سكون قاتل.. نظرات شاردة باهتة غابت عنها كل تعابير الكون، تتنفس الصعداء وتزفر بها كل ذاك الوجع، كارثة تدعى الرحيل.. هي أنت!

لم تكن وحدها تتألم؛ كان ألم رهف يُشبه ألم ميرا؛ فقد كان ابن عمها.. حبيبها.. صديق طفولتها الذي لطالما حاولت اجتذاب قلبه ولكن لم يعطه إلا لميرا!

ذهبت رهف إلى ذلك الشاطئ؛ فهي تعرف بوجود ميرا هناك، جلست بجوارها، فقالت ميرا:

- إيه اللي انتي لابساه دا؟ إنتي اتجننتي؟! لابسه إسود ليه؟

دمعت عينا رهف وأكملت:

- رامز يا ميرا رامز.
- لا البسي ألوان، رامز ما ماتش، رامز اتقتل، رامز اتقتل وانا مش ها سيب حقه، مش ها سيب اللي قتله يفلت بعملته، مش هانزل دمعة ولا هلبس إسود وانا مرتاحة إلا لما اللي خد مني رامز يتعذب قدام عيني ويترجاني أخلَّصه، دا رامز يا رهف، ماتفتكريش إني مش فاهمة إنك بتحبي رامز، اللمعة اللي شفتها في عيونك أول مرة قابلناه سوا في المطعم قالت لي، واما اتعزمت عندكم كل ما كان يقول لي حاجة واحنا ع السفرة كنتي بتردي عليها انتي، طب أقول لك حاجة كمان!
- اسكتي، كفاية، كفاية.
- لا مش كفاية، أكيد طبعًا عمرك ما هتنسي في آخر اليوم اما كنا في البلكونة ورامز شدني لحضنه إنتي كنتي واقفة بعيد وشايفة، كنتي شايفة يا رهف!

وضعت رهف كفها على شفتي ميرا لتجبرها على السكوت وصرخت في وجهها:

- اسكتي بقى كفاية، إنتي ليه مُصرة توجعيني وجع فوق الوجع؟!
- أنا عارفه هو بالنسبة لك إيه، وعارفة قد إيه قلبك محروق عليه، هقول لك حاجة، أنا مش هرتاح غير اما حقه يرجع، مش هرجَّع اللي راح لكن هرجع حقه، واتمنى من كل قلبي تكوني معايا.
- أنا معاكي، مش هاسيبك، كل اللي هاتقولي عليه ها يتنفذ.

نظرت لها وابتسمت بسمةً خافتة قائلة:

- كنت متأكدة.
- نسيت اديكي حاجة مهمة، رامز قبل ما يتقتل بيوم واحد جالي.. كصاحبة يعني وأقرب حد ليه، وساب لي ٧ جوابات، قال لي علشان أنا لو مش موجود أو مسافر أو حصل حاجة وميرا مخنوقة أو زعلانه تديها جواب جواب، وكأنه كان حاسس باللي ها يحصل، خديهم، ما تفتحيهمش مرة واحدة، كل ما تتخنقي أو حاجة تقف قدامك افتحي واحد، دي كانت آخر حاجة طلبها مني.
- هاتي بسرعة، هاتي يا رهف.

أعطتها الأظرُف وتركتها عائدة إلى المنزل، فتحت الجواب الأول؛ فاشيتاقها إلى رامز جعلها في أشد لهفتها لرائحته ولكلماته، وجدت مُرفق مع أول جواب سلسلة فضة صغيرة جدًا، فتحتها ليجعلها القدر ترى ما زاد آلام قلبها ضعف الألم؛ صورة لطفل يبدو أنه في الثالثة أو الرابعة من عمره استنتجت أنها حتمًا صورته، قبَّلتها برفقٍ ومن ثمَّ ارتدتها على الفور، وبدأت في قراءة الجواب:

"**يوم ما عرفتك حسيت إني عارفك من زمان أوي، مش من زمان؛ من يوم ما اتولدت، إنتي يا ميرا شمسي وقمري، صوتك بيداوي مليون وجع في القلب، تعرفي؟ بحبك أما بتتعصبي فتقومي نافخة في الهوا فتطير خصلة شعرك اللي بتنزل على وشك، واما بتفكَّري في حاجة فـ عيونك تبص لفوق وتمسكي صوابعك وتطرقعيها لحد ما توجعك، بحب حضنك اللي ما يفرقش عن حضن أمي كتير**".

نظرت ميرا للسماء، ثم تقدمت عدة خطوات وأكملت الجواب بعد شهيقٍ طويل:

"**أنا عايزك جمبي على طول، عايزك ضهري وسندي، نفسي ما تطلعيش بره اسكندرية غير في إيدي ومعايا، بحبك**".

احتضنت الورقه في حقيبتها وغادرت الشاطئ بعد نظرةٍ عميقة إلى السماء دامت لدقائق.

ـ أخبارك إيه؟

التفتت ميرا خلفها لترى من ينادي عليها:

ـ سائر! إيه اللي جابك هنا؟ آسفة، قصدي جيت من إمتى؟

ـ تقدري تقولي بعد ما جيتي بأسبوع تقريبًا، بس سيبك من كل دا، واحشاني جدًا، طمنيني إيه أخبارك، ووشك مرهق كدا ليه؟

سكت لثوانٍ، ثم مزح قائلًا:

ـ جمالك وصحتك مش بييجوا إلا على بلاد بره.

ثم أكمل ملاطفًا إياها:

ـ إنتي جميلة في كل وقت يا ميرا.

ـ شكرًا، هاستأذنك أطلع أوضتي أرتاح شوية عشان تعبانة جدًا.

ـ خلاص ماشي، بس لازم أشوفك بكرة ونخرج.

ـ ربنا يسهل، سلام.

ما هذا السائر؟! كما يقولون في مصر «**بيرمي دبش**»، سائر غير قادرٍ على ربط لسانه أمام الغرباء، لم تكن بحاجةٍ لرؤيته أو لسماع كلماته اللزجة، اتجهت لغرفتها معلنة الاستسلام لسريرها، لم يغب رامز عن

بالها لحظة واحدة، بدأت ميرا في ترديد تلك الكلمات التي سمعتها عند عودتها أرض الوطن لأول مرة على سريرها في الفندق..

بعدك على بالي.. يا قمر الحلوين

يا سهر بتشرين.. يا دهبي الغالي

بعدك على بالي

يا حلو يا مغرور.. يا حبي ومنتور

على سطحي العالي

اشتياقها لرامز دفعها لفتح الجواب الثاني؛ فهي تريد أن تسمع رامز، نعم فهي تقرأ كلماته بصوته الذي يتردد في أذنها ليلًا ونهارًا.

اتصل الطبيب الخاص بأحمد في المستشفى بوالدته ليخبرها بما يريده أحمد على الفور:

- أحمد عايز يروح يزور قبر مريم ياخد معاه ورد من اللي كانت بتحبه.
- ابني اتكلم يا دكتور؟ اتكلم وطلب كدا صح؟
- لأ لأ هو لسه رافض الكلام، هو كتب، جنبه ورق وقلم طول الوقت وطلب كدا عن طريقهم.
- وحضرتك شايف إننا ننفذ رغبته ولا لأ؟
- والله أنا شايف إنه لازم يروح، بس حد يروح معاه وفي نفس الوقت يسيبه لوحده.

قاطعته قائلة:

- يسيبه ويمشي وهو في الحالة دي يا دكتور؟ إزاي!
- أكيد مش ها يمشي، لكن ها يستناه بعيد، وعينه عليه علشان لو حصل أي حاجة يكون جنبه.

- خلاص اللي تشوفه يا دكتور.
- أحمد طلب إن أمل اللي تاخده للمقابر.
- حاضر أنا هقول لها حاضر.

أغلقت والدته المكالمة وقامت على الفور بالاتصال بأمل:

- أمل عايزاكي ضروري.
- خير يا طنط، أحمد حصل له حاجة؟
- لا لا خير، تعالي بس لو فاضية دلوقتي ضروري.
- ربع ساعة واكون عندك.. سلام.

في اليوم التالي..

- دكتور.. أحمد جاهز؟
- أيوه، تقدري تاخديه بس أرجوكي عينيكي عليه طول الوقت، وأعتقد والدته شرحت لك.
- ما تقلقش يا دكتور هنفذ كل اللي قُلته.

استقبلت أمل أحمد وأخذته في سيارته التي استعارتها من والدته، أجلسته في المقعد الأمامي بجوارها وانطلقت بالسيارة مسرعةً لمحل الورد الذي اعتاد أحمد شراء الورود البيضاء والبنفسجية لمريم منه، بدأت أمل تتحدث معه في محاولةٍ أولى بائسة منها أن يستعيد رغبته في الحديث:

- تسمع معايا الأغنية اللي مريم كانت بتحبها؟

سكتت دقائق معدودة، ثم تابعت:

- تفتكر يا أحمد سكوتك دا ها يخليها ترجع من الموت؟

- أمل أنا آسف بجد.

نظرت له محدقةً في اندهاش، أحمد بدأ يتحدث ثانية! وعلام يعتذر؟

- أحمد إنت رجعت تتكلم؟ طب اتكلم وقول كل اللي انت عايزه.

كادت المفاجأه تجعل أمل تقوم بحادث؛ فتوقفت فجأة وأكملت:

- بتتأسف على إيه؟
- على اللي حصل مني يوم المستشفى، على عدم اهتمامي إني أسألك عنها على طول من وراها، آسف على حاجات كتير.

قاطعته في انفعالٍ:

- إنت بتقول إيه؟ أولًا إنت مالكش أي ذنب في حاجة، ثانيًا اللي حصل كان غصب عنك.

بكى أحمد بحرقةٍ واستكمل:

- أنا حاسس إني السبب، أنا اللي ضيعتها من إيدي.
- لا طبعًا دي أقدار وربنا عايزها في الميعاد دا يبقى محدش يقدر يعترض ولا حد ليه دخل.
- يللا يا أمل علشان ألحق أقعد هناك شوية.
- حاضر.

ذهبا لإحضار الأزهار، وعندما وصلا إلى المقابر أخبرته أمل بأنها ستقرأ لها الفاتحه وتذهب لانتظاره في السيارة.

بعدما ذهبت أمل جلس أحمد إلى جوار القبر وبدأ يُرتب الأزهار حوله في شكلٍ بيضاوي، ثم شرع في الحديث معها:

- وحشتيني يا مريم، مشتاق لضحكتك أوي، مشتاق لعصبيتك أما بعمل حاجة مش على مزاجك، وصريخك واحنا في الملاهي

علشان بتخافي من الساقية.. وحشتني كلمة «**حبيبي**»، طب تعالي قوليها وامشي تاني وانا مش هعترض!

أكمل بعد أن التقط أنفاسه من فرط البكاء:

- بصي أنا هاغنيلك الأغنية اللي كنتي كل ما تزعلي علشان اتأخرت عليكي تقوليها: «**حبيبي حن عليا.. حبيبي طل عليا.. آااه اسأل عليا.. آاه دا انا منسية**»

تنهد طويلًا واستطرد:

- عايز أشوفك.

◈

يوم واحد تبقى لميرا على فراق الإسكندرية، لكنها لن تطيل البقاء في المكسيك، ترغب في الاطمئنان على والدها ومن ثمَّ تعود لاستكمال قضيتها.

قضيتها التي قررت أنها لن تتخلى عنها مهما كانت الظروف، ذهبت إلى رهف؛ فهي تُريد قضاء بعض الوقت معها قبل السفر، تريد أن تسمع ما اعتادت رهف أن ترويه لها عن رامز منذ أن توفى.. لا.. منذ أن قُتل!

اتفقا أن يسيرا على ذاك الشاطئ، ذاك الشاطئ المشؤوم، لكن برغم ما حدث عليه فقد عشقته ميرا، خطى عليه رامز أثناء سيره معها، غنى في أرجاء ذرات هوائه، قضت مع رامز أجمل ساعات حياتها على ذلك الشاطئ، فلا مانع من اصطحاب شخصٍ من عائلته على ذلك الشاطئ ليتحدثا عنه، ليتذكرا أفعاله سويًا، خاصة إذا كان هذا الشخص هو رهف.. فـ رهف كانت تعشقه وما زالت مثلما عشقته ميرا، رهف هي طفولته البريئة، رهف هي أخته التي لم تنجبها أمه، كالشقيقة ولكنها

ليست كذلك، كالحبيبة ولكنها ليست كذلك.. كان يعلم بعشقها له، لكنه لم يُرِد جرحها، لم يُرد زرع الآلام بداخلها.

أوشكت الشمس على الهرب من السماء، فقد بدت السماء كصندوق ألوانٍ حارة فاندمج الأحمر مع البنفسجي والأصفر وترك السحاب مكانه ذاهبًا لجزءٍ آخر من السماء لعله يبكي وتنهمر دموعه.

- خلَّصتي الجوابات ولا لسه؟

قالتها رهف محاولة إظهار بعض اللا مبالاة.

- تقريبًا باقي واحد بس.
- وما قرأتهوش ليه؟
- بليل بقى أو بكرة قبل ما امشي.
- طيب.
- حاسة إنك عاوزة تقولي حاجة وخايفة أو متوترة.

ردت رهف في ارتباك:

- آه في حاجه مهمة، الظابط اللي بيحقق في قضية قتل رامز كلمني امبارح.
- مش قلت لك ما تسمعيلهمش، مش ها يوصلوا لحاجة، مش هايجيبوا حقه.
- طب اسمعي اللي قاله ونتكلم!

زفرت ميرا متأففه:

- ها، سمَّعيني.
- الطب الشرعي قال إن الطلقة اللي انضرب بيها رامز خرجت من مسدس ميري.. يعني اللي ضربه مش زيي وزيك.

نظرت لها ميرا مذهولة مما سمعت:

- إزاي؟ رامز له عداء مع حد من الداخلية؟ ولو له؛ ها يقتله وبمسدسه!
- للأسف دا اللي ها يجنني، رامز مالوش عداء في أي مكان، كان أكتر كائن مسالم في الدنيا، ولو له فمن الغباء إنه يقتله بمسدسه، بس تعرفي، الحكاية مالهاش إلا تفسير واحد من وجهة نظري، إنها كانت مشاجرة بين الشرطة وأي شخص مدني، فالطلقة جت فيه بدون قصد.

شردت ميرا متأملة الغروب فنبهتها رهف:

- بتفكري في إيه؟ فكّري معايا يمكن أفيدك.
- الحكاية مش كدا إطلاقًا، في حاجة أنا مش فاهماها، بس هاوصلها.
- طب مش عايزة تجيبي حاجة قبل ما تسافري من هنا؟
- لا لا أنا يدوب أجهز شنطتي وأنام شوية، واوعدك مش هاتأخر.

زفرت تلك الجملة في حنقٍ وودعتها، أطالت البقاء في حضنها، وكأنها تحتضن قطعة ملابس اختلط بها بقايا رائحة رامز، تحتضن قلبًا لطالما عشقه ولم ولن يتردد في التضحية من أجله.

◈

أعدَّت ميرا شنطتها، ارتدت ذلك الفستان الأبيض المليء بالأزهار الحمراء واستعدت للذهاب للمطار، وصلت مطار «**برج العرب**» بعد ساعةٍ ونصف؛ بعد أن مرت على موظف الجوازات وقامت بالإجراءات

اللازمة قبل مغادرتها الإسكندرية، جلست على ذلك المقعد الحديدي منتظرة أن يحين موعد ركوبها الطائرة، مرت نصف ساعةٍ أخرى، بدأت ميرا الغرق في بحرٍ من الضجر، فتحت هاتفها الخلوي تتصفح المواقع الإخبارية، سئمت أكثر، قررت وبدون تردد أن تقرأ آخر جوابٍ تركه لها. الجواب السابع:

"**ميرا، قبل أي كلام عايز أفكرك بحاجة عارف إنك مش بتنسيها؛ أنا بحبك، بحبك أوي، أكيد سألتي وبتسألي نفسك أنا سيبت الجوابات دي لرهف ليه بالذات، لازم أوضح لك حاجة مهمة، في كلمتين أنا قلتهم لرهف واتفقت معاها تقول لك غيرهم، قلت لها لو حصل لي حاجة الجوابات تروح لميرا ضروري، الجواب دا طالما بقى في إيديكي يبقى أنا عند ربنا، أنا عارف إني هاموت، ومش عايزك يا حبيبتي تعرَّضي نفسك لخطر، لو بتحبيني فعلا اقري الكلام دا واعرفي الحقيقة وبس، أرجوكي**".

توقفت عن قراءة الجواب في صدمةٍ مما تقرأ، نظرت حولها ببطءٍ، المسافرون يغادرون صالة الانتظار، رفعت رأسها لأعلى متأملة اللا شيء، لا تستطيع استيعاب ما تقرا، أكملت:

"**خدي رهف وروحي شقتي وادخلوا أوضتي، ورا البرواز في خزنة، افتحيها وانتي هاتعرفي كل حاجة.. بعيدًا بقى عن كل دا، هاتوحشيني والله، أنا غرقان في بحرك ومش عايز حد يطلعني، إنتي أول أجمل حاجة في حياتي، لو حصل لي حاجة مش هزعل، مش هزعل غير علشان هابعد عنك.. خطفتيني والله، الكلام خدني ونسيت أقول لك ليه سيبت الجوابات دي لرهف، هي أجدع وأجمل إنسانة هاتقابليها، رهف البنت**

اللي لو بتحب فمهما عملتي ضدها هاتفضل تحبك وترضيكي وبس، ودا اللي كانت وما زالت وها تفضل بعد ما أموت تعمله معايا، ما تكرهيهاش أبدًا، أرجوكي".

ما الذي يحدث؟ رامز يعلم أنه سيُقتل ولم يخبرها، ما هو ذلك السر الذي لم يخبرها به وهو على قيد الحياة؟ تلك هي الأسئلة التي دارت بذهنها، ولم يكن هناك مفر من التشتت والحيرة.

أوشكت أن تصاب بالجنون، تحسست وجنتيها لتجدهما غارقتان في الدموع، تبقَّى خمس دقائق فقط، لن تعود، لن تذهب إلى المكسيك، ستستكمل رحلتها، ستعلم الحقيقة.

فتحت هاتفها لتتصل برهف:

- رهف قابليني كمان ساعة بالظبط ع الشط.
- اهدي كدا بس وواحدة واحدة وفهميني، إنتي مش طيارتك المفروض تطلع كمان عشر دقايق؟ وصوتك ماله و بتعيطي ليه؟
- مش هاسافر، والباقي ها تعرفيه أما أشوفك..

◈

- خدي اقري الجواب دا.
- مش دا جواب من جوابات رامز ليكي؟ أقرأه أنا ليه؟
- اقريه ونتكلم بعد ما تخلصيه.

تناولته وبدأت في القراءة، ظلت ميرا تتأمل تقلبات ملامحها، اعترتها هيستيريا البكاء فقط، أكان ذلك الجواب بين يديها ولم تقم بفتحه ومعرفة تلك الكارثة التي تهدد حياة حبيبها الأول والوحيد والأخير! أم منعتها أمانتها من اكتشاف تلك الفجيعة؟!

- رهف إحنا لازم نروح شقة رامز حالًا.
- أنا دلوقتي بس فهمت ليه عمل كدا.
- عمل إيه؟
- يوم ما خدت الجوابات منه، ساب نسخة من مفتاح شقته، حاولت أعرف ليه بس دماغه كانت عنيدة ومقالش حاجة.
- يبقى يللا بسرعة نروح.

ركبتا سيارة أجرة منطلقتين إلى منزل رامز فلم يطيقا صبرًا ورغبتهما في معرفة من قتل حبيبهما كانت أقوى كثيرًا، وما كان أقوى هو تلك العلاقة التي جمعت بين الفتاتين، فما ذلك الرابط العجيب؟ استطاع الجمع بين قلبين أحبًّا نفس الشخص، فمن الطبيعي أن يصبحا عدوتين، ولكن سماحة ميرا ولين قلب رهف استطاعا تقوية ذلك الرابط، ذلك الرابط هو رامز.

وصلتا إلى منزل رامز ويد كل منهما ترتعش من فرط القلق، بدآ يتصببا عرقًا، نزلا من السيارة مطالبين السائق أن ينتظرهما بعض الوقت.

بخطواتٍ بطيئة تقدمت ميرا نحو غرفة المعيشة، تتأمل صور رامز، تلك الضحكات الطفولية البريئة، تركت هذا العالم وذهبت لما هو أرحم وأفضل، تركت حضنها ومضت بلا رجعة، نبهتها رهف بعد أن شردت في هذا العالم العجيب الموجود بعينيه:

- يللا يا ميرا، إنتي نسيتي احنا جينا هنا ليه ولا إيه؟
- لا لا مانسيتش، يللا تعالي.

تحركتا متوجهتين إلى غرفته، نظرتا حولهما في ذهولٍ:

- برواز! دول ٦ أو ٧ براويز، رامز محيرني معاه حتى بعد ما سابني.

قالتها ميرا مبتسمة، التفتت تجاه صوت رهف:

- ميرا ميرا بصي.
- إيه لقيتي حا...

لم تكمل عبارتها فاستولت دموعها على كلماتها، ذلك البرواز الرائع، كانت آلامها تزداد كلما علمت كم كان يعشقها، كانت صورتها!

- أنا متأكدة إنه يقصد البرواز دا.
- تفتكري!
- تعالي نشوف كدا.

صعدت رهف على سريره، ورفعت صورة ميرا من على الحائط.

- الخزنة، هي دي الخزنه.
- افتحيها بسرعة!

فتحت الخزانة مسرعة، وجدت بعض الأوراق داخل ملف، وهاتف محمول حاولت فتحه لكن دون جدوى، حاولت فتحه العديد من المرات لكنها كانت تفشل في كل مرة.

- طيب هانعمل إيه دلوقتي؟ أنا مش فاهمة حاجة.
- افتحي الملف بصي فيه.

ليتها لم تفتح ذلك الملف، وجدت ما لم تتوقعه يومًا.

- سائر إنت مشيت حتى من غير ما تعرَّفني ولا تسلم عليا؟

قالتها أمل وهي تُحدِّث سائر بعد أن سئمت من أفعاله، يسافر دون أن يخبرها، يلاطفها ويعاملها برفقٍ وقتما يحلو له؛ حتى إنه نادرًا ما يفعل

ذلك، إنه ذلك الحب اللعين الذي يجعلها تصبر وتتحمل وتصبر وتتحمل فقط، هو الحب الذي يدفع ميرا للانتقام، وكذلك الذي زاد الرابط بين رهف وصديقتها قوة برغم عشقهما لنفس الرجُل، لعنة الحب التي دومًا تدفع الجميع لأفعال خارجة عن المنطق، أفعال تفوق قدرتنا النفسية على تحمُّل نتائجها.

يفعل ما يفعل إلى أن يقتلع جذور قلبها فتذبل وتموت تدريجيًا تلك الزهرة الوفية، أجابها سائر بعد أن تأكدت أن قلبه لن يتوقف عن معاملتها بقسوة:

- إنتي هاتحددي لي أروح وآجي إمتى؟ شغل يا أمل ورايا شغل.
- شغل إيه اللي يخليك امبارح بتتغدى عندنا والنهاردة تكلمني من هناك واتفاجيء، حِس بيًا شوية يا سائر!
- حاضر أما افضى إن شاء الله، سلام.

سيظل يقسو ويقسو كالصبار ويقتلها ببطءٍ دون أن يشعر أنه يقتلها، لا يشعر أنها لا تحتاج أحدًا سواه، قلبها أصبح كالطفل التائه من بين أحضان أبيه، أرادت فقط عناق سائر!

◈

«قالت أمي مرة؛ الذي يحبك هو من رأى فيك ٩٠٩ عيبًا وخِصلة جميلة، أحب الخِصلة وترك العيوب»

محمود درويش

◈

- يا آنسة أمل أنا بحبها، بحبها جدًا والله، والفترة اللي بعدت فيها دي مش بإرادتي، واللي حصل والله والله كان غصب عني، أنا آسف، آسف بجد، أنا عندي استعداد آجي أخطبها من بكرة.
- أولًا البنت صغيرة جدًا على إنها تتخطب، ثانيًا ودا الأهم؛ إنت بتعتذر على إيه؟! إنت لو قدامي مش عارفة كنت هاعمل فيك إيه، إنت تحمد ربنا إني مابلغتش عنك.
- ادِيني فرصة واحدة بس، أنا بحبها، بحب أختك والله يا آنسة أمل.

ساد الصمت لبرهةٍ، ردت على رامي في ضجر:

- اقفل يا رامي دلوقتي، اقفل لو سمحت.

لم تنتظر منه ردًا وأغلقت هاتفها على الفور، عادت إلى التفكير في أختها وما سيجرى معها، اعتدلت أمل في جلستها، ثم بدأت في الحديث مع نفسها، تتحدث مع عقلها، ومع ضميرها:

"**أولًا: سمر لسه صغيرة على دوامة خطوبة ومسئولية زي دي، ثانيًا: هو رجع وماختفاش ولا سابها وهرب ولا قال هي اللي حبت أو سابت نفسها، مطلعش ندل من الآخر، رجع وعنده استعداد يصلَّح اللي عمله ويشيل المسئولية، بس لأ هو لو عاقل ماكانش ها ياخدها البيت أساسًا، بالتالي ماكانش عايز مصلحتها ولا خاف عليها! بس مفيش حد فينا معصوم من الغلط، كلنا بنغلط وكلنا من حقنا فرصة كمان، زي ما هو غلط سمر غلطت إنها راحت معاه من الأساس**".

يدور برأسها الفكر ونقيضه، صراع بين رغبتها في إعطائه فرصة جديدة، وأيضًا صِغر سن سمر الذي أصبح يُعرقل فكرها.

ـ بتحبيه يا سمر؟

نظرت إلى أمل مرتبكة بائسة لا تدري لماذا تسألها أختها هذا السؤال بعد أن أغلقت الموضوع منذ فترة، دار برأسها العديد من التساؤلات، لكن أجابتها أمل على تلك التساؤلات بعد أن رأتها في عينيها:

ـ رامي كلمني.

قاطعتها سمر ملهوفة:

ـ إيه! كلمك ازاي؟ ولّا إمتى؟ وعايز إيه؟ طب كويس ولا لأ؟

ردت أمل متعجبة:

ـ كويس ولا لأ؟! هو بعد اللي حصل بتسألي كويس ولا لأ؟ مكفاكيش اللي حصل يعني؟

طأطأت رأسها أرضًا ولم تستطع الرد؛ فأختها على حق؛ ألم يكفِها ما فعله؟ ألم يكفها هروبه؟ ألم يكفها حرمانها من أصدقائها ودروسها وهاتفها؟ رفعت رأس سمر ممسكة بذقنها، ثم تأملت عينيها البريئتين جيدًا، وقد تسللت إليهما الدموع، ثم أكملت:

ـ بتحبيه؟

لم تتحكم سمر في أعصابها؛ فانفجر شلال دموع من عينيها الزرقاوين، ارتمت بين ذراعي أختها، أختها التي لطالما أرادت ذلك الحضن، أجابتها سمر:

ـ بحبه، برغم اللي حصل لكنِّي بحبه وهفضل أحبه..

تركتها أمل بعد أن هدَّأتها قليلًا دون أن تجيبها ما الذي تنوي أن تفعله، لكن سمر كانت على يقين أنه لن يعود، لن تراه مجددًا.

لم يعد بمقدورها استكمال ذلك اليوم الشاق، حقًا هي لا تقوم بمجهود بدني لكن عقلها يعمل كالآلة على مدار الساعة، عقلها مرهق ويرغب في سرقة بعض الراحة التي لطالما اشتاقت لها، عزمت على النوم مبكرًا لتذهب في الصباح وتحضر الورود؛ لتذهب إلى قبر مريم تشكو لها ما حل بها، فـ أمل تطمئن وهي تجلس بجوار صديقتها الراحلة.

قررت أنه لا مفر من سرد علاقة سمر ورامي لوالديها، بالطبع ليست القصة كاملة، لكن على الأقل ما يدور بقلبيهما!

جاءت في المساء وقد رتبت كلماتها وجلست جوارهما وهما يشاهدان التلفاز، سمر نائمه والمنزل هادىء، لم تخبر سمر قط بأنها ستُحدث أبويها بشأن رامي، كانت سترفض خوفًا من رد فعل أهلها، فهم كتلك العائلات في مجتمعنا الشرقي؛ تربط الحب بالشرف؛ كتلك العقول التي تسلب من بناتها حقهم في الاختيار؛ اعتقادًا منهم أنه تلويث للسمعة والشرف، لا يدركوا أن ما يفعلونه هو الذي يعطي لبناتهم الفرصة الأولى لارتكاب أخطاء لا يعرفون مخاطرها، ستخبرهم فهي لا تستطيع تحمل قرار آخر، قرار مصيري في حياة أختها الصغيرة والوحيدة بعد وفاة مريم.

تقدمت في هدوءٍ وأغلقت التلفاز، وبدأت حديثها:

ـ بابا.. ماما.. بعد إذنكم عايزة أكلمكم في موضوع مهم جدًا.

قاطعها والدها في قلقٍ:

ـ خير يا بنتي، إنتي وسائر زعلانين ولَّا حاجة!

طأطأت أمل رأسها أرضًا حزينة على ما يحدث بينها هي وسائر، ولكنها استجمعت قواها ورفعت رأسها وهزتها نفيًا وأكملت:

- لا خالص يا بابا، الموضوع بخصوص سمر، وقبل ما تقاطعني اسمعني للآخر أرجوك.

سردت أمل كل ما لديها من أحداث، لكنها لم تذكر ما حدث في منزل رامي، وبعد انتهائها نظرت إلى والدها ووالدتها منتظرة ردهما على حديثها.

- أولًا أنا احترمت سمر لأنها صارحتك بحاجة زي كدا.

قالها والد أمل، فقد أقنعته أن سمر هي من روت لها عن حبها، ثم استطرد حديثه:

- بس حب إيه اللي تحبه في السن دا، هي اتجننت ولا إيه؟
- لا يا بابا، الحب عمره ما كان عيب أو حرام، الحب غريزة، فطرة خلقها ربنا فينا، ولما ربنا اتكلم عن العلاقات ماحددش سن نحب ونختار فيه، دا ارتباط أرواح مش بإيدينا، هو مش بردو حضرتك وماما كنتوا جيران وحبيتوا بعض من زمان؟ لأ دا من يوم ما وعيتوا ع الدنيا، وفي الآخر اتجوزتوا يبقى ليه أما بنتك تحب تبقى اتجننت؟

نظر لها والدها نظرة اقتناع بما تقول، فأكملت:

- الحب مش مكروه في ديننا، ربنا سبحانه وتعالى قال: «**وهو الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**»، أباح الحب ويبقى غلط كبير لو احنا منعناه بمزاجنا أو قلنا عيب أو حرام، الصح إننا نسيبها تجرب قدامنا، يمكن يحصل نصيب ويمكن لا، بس تبقى اتعلمت!

صمتت للحظات مُحاوله استجماع كلماتها، ثم أردفت:

ـ بابا أنا خلصت كلامي ومش عايزة أعرف أي رد دلوقتي، أكيد هعرف الرد من قرارك وتصرفاتك خلال الوقت، فكر كويس يا بابا وبلاش تظلمها.

تركت والدها يعيد تفكيره في مصير ابنته الصغيرة، وذهبت لغرفتها تستقبل رفيقها الأول والوحيد الذي أصبحت الحياة لا معنى لها بدونه؛ إنه «**النوم**» رفيق وعشيق البائسات أمثالها..

أوراق أوراق أوراق، تاهت ميرا بين تلك الأوراق، من شهادة ميلاد رامز وشهادة ميلاد أبيه وشهادات استثمار والكثير من الأوراق عديمة الفائدة! تأففت مرارًا إلى أن وقعت عيناها على اسم مأثور بالنسبةِ لها، ورقة بيضاء لا يوجد بها إلا ذلك الاسم الذي توقفت عنده متسائلة عن علاقته المجهولة برامز؛ إنه فريد الخولي والدها.

تبادلت ميرا ورهف كل منهما نظرات تائهة وإجابات ضائعة، يومان مرا عليهما في شقة رامز فقد عجزا عن الحركة منذ أن وجدا اسم فريد الخولي.

يومان من البحث في جميع أركان المنزل عن أي خيطٍ يمكنهما تتبعه لكن دون فائدة.

عادت مع رهف إلى منزلها تفكران فيما سوف تفعلانه في علاقة فريد برامز المجهولة، وفي الرقم السري الخاص بالهاتف الذي وجداه بالخزنة، فتحت ميرا هاتفها فوجدت عشرات المكالمات التي لم ترد عليها منذ دخولها منزل رامز؛ إنه والدها، نعم فهي لم تعد ولم تخطو

خطوة واحدة داخل الطائرة ومع ذلك لم تتصل بوالدها لتخبره عن أسبابها أو تطمئنه عليها، أرسلت له رسالة عبر برنامج «**WhatsApp**» تخبره أن القليل من المشاكل واجهت صديقتها لذلك لم تتمكن من تركها.

أغلقت ميرا هاتفها تمامًا؛ فهي لا تريد من أحدٍ أن يزعجها أو يقوم بتشتيت تفكيرها، ترغب في تفريغ ذهنها فقط لما يحدث ولتلك الألغاز التي تحاوطها من جميع الجهات منذ أن دخلت تلك البلدة.

انتظرت سويعات إلى أن نامت رهف، تأكدت من نعاسها وارتدت فستانها الأزرق وخرجت متسللة على أطراف قدميها كالفئران، أوقفت سيارة أجرة وطلبت من سائقها أخذها إلى إحدى مراكز الهاتف المحمول؛ جالسةً في مقعد السيارة الخلفي وحدها تنظر إلى الشوارع والأضواء الساطعة ليلًا، الناس تذهب وتأتي، ضحكات أطفال، أيادي المتحابين متشابكة، وابتسامات بأكثر من معنى، اشتدت رغبتها في سماع أغنية لتملأ فراغ وحدتها، فتحت هاتفها فوجدت رسالة من أحد الأشخاص على Whatsapp وفتحتها؛ رسالة من والدها وعلى الأرجح كان غير مهتم على الإطلاق بوجود ابنته، كان نص الرسالة: «**ماشي طمنيني أما تقرري تحجزي طيارة**»، تجاهلت تلك الرسالة باستهتار، ثم لفت نظرها آخر محاثة لها مع رامز وبدأت في قراءتها من بدايتها، لاحظت إحدى الأغنيات التي كان قد أرسلها لها رامز لتستمع إليها ولكنها لم تحظَ بوقتٍ كافٍ، ضغطت على زر التشغيل، لم تمر دقيقة كاملة إلا وقد أخذت في البكاء..

"أطاوع في هواك قلبي، وانسى الكل علشانك
وادوق المر في حبي بكاس صدك وهجرانك

ويزداد الجوى بيا يبان الدمع في عينيا

ويكتر في هواك اللوم

وابات ابكي على حالي"

قالتها أم كلثوم بحرقةٍ فارتفع صوت نحيبها كما ارتفع صوت أم كلثوم في ذاك المقطع: «**وابات ابكي على حالي**»، لم تكن في وعيها الكامل فأيقظها من غفلتها:

- يا آنسة.. يا آنسة!
- أيوة.
- حضرتك كنتي بتغني والظاهر إنك اندمجتي وصوتك عِلي جدًا.
- بجد! أنا آسفة جدًا والله بس ماحستش.
- ولا يهمك، ع العموم احنا وصلنا أهوه.

نزلت ميرا من السيارة متجهة إلى المركز الخاص بالهواتف المحمولة، قالت لأحد الموظفين:

- أنا كنت عايزة أستفسر عن حاجة.
- اتفضلي.
- أنا مش عارفة Password الموبايل دا، هو موبايل حد من قرايبي بس توفى، عايزة أفتح الموبايل من غير ما يتمسح من عليه حاجة، ينفع؟
- حضرتك تسيبيهولي هنا وتقدري تاخديه بكرة.

ذهبت ميرا بعد أن تركت الهاتف عائدة إلى المنزل مسرعةً حتى لا تشعر بها رهف، دخلت المنزل فاستقبلتها رهف قائلةً:

- كنتي فين يا ميرا؟

- كنت بتمشى شوية.. عايزة أشم هوا.
- طب وما قلتيش أنزل معاكي ليه؟
- لقيتك تعبانة ومرضتش أصحيكي.
- طيب غيري هدومك على ما اعمل حاجة نشربها، تشربي إيه؟
- نسكافيه ممكن.

اتجهت رهف إلى المطبخ لتعد النسكافيه بينما ذهبت ميرا لتبديل ملابسها، شعرت ميرا أن لوالدها يد في مقتل رامز؛ لذلك لم ترد أن تكون رهف معها، أحست أيضًا أن هذا الهاتف يحوي إحدى الأدلة أو سر أخفاه رامز عنها ويتعلق ذاك السر بوالدها، رغبت ألا تعرف صديقتها الوحيدة والأقرب أية معلومة تهدد علاقتها بها، نظرت لهاتفها، كان هناك متصل ما، إنه سائر! ليس وقت اتصاله، إنها ليست على استعداد لتسمع كلماته السخيفة التي يلقيها ويلقيها في كل مكالمةٍ دون أن يشعر أنها لا تتقبلها على الإطلاق، قررت الرد عليه فورًا؛ فإن لم ترد سوف يهاتفها مرارًا ويُشتت تفكيرها.

- إزيك يا حبيبتي؟
- حبيبتك؟
- قصدي أخبارك إيه يا ميرا؟
- كويسة.
- بجد كويسة؟
- آه الحمد لله.
- ماجيتيش ليه؟ أنا على حد معلوماتي إنك كنتي جاية من يومين.
- إيه دا، إنت عارف أهوه!

- هو في حاجة تستخبى عليا؟ المهم ماجيتيش ليه؟
- إيه دا! إنت مش هنا في مصر؟! سافرت إمتى؟
- بتردي على السؤال بسؤال بس ماشي، أنا هنا من فترة وكنتي مشغولة ومش عارف ألاقيكي ف طبعًا معرفتش أقول لك.
- أنا هاجي قريب، مش هطول هنا، قدامي كذا حاجة هخلصها وعايزة أشبع من صاحبتي وآجي بإذن الله.
- طيب هاستناكي.

سكتت ثوانٍ، ثم أكملت:

- هقفل دلوقت ونتكلم بعدين.

أغلقت ميرا المكالمة مستغيثة بالمولى: « **يا الله**»، والتقطت شهيقًا ثم زفرته وجلست على الأريكة مسترخية..

◈

- Good night، Baby..

قالتها روز إلى سائر، مسحت على وجهه بأطراف أصابعها في رفقٍ، ثم جذبت الملاءة على جسدها العاري بجواره وأغمضت عينيها مبتسمة..

روز صديقة ميرا إلى حدٍ ما في المكسيك، كان قد تعرف سائر على ميرا من خلال حفلتها، لكن روز تختلف جذريًا عن ميرا شكلًا وطباعا وأخلاقًا، لم تستطع ميرا التأثير فيها بأية صفة وبأي شكلٍ من الأشكال.

جلس سائر ساندًا ظهره على ظهر سريره، ثم أضاء ذاك الضوء الخافت جوار سريره وأخرج سيجارهُ الأسود الداكن من نوع captain black، زفر النفس الأول، الثاني، والثالث.. أزال الملاءة عنه بعد أن تأكد أن روز

غرقت في أحلامها؛ فهو لا يحب القيود؛ لا القيود الفكرية ولا الدينية ولا الأخلاقية ولا أيضًا قطعة القماش الموضوعة على نصف جسده السفلي!

كل يوم تنتهي إحدى صفقاته فيذهب لنادي ليلي من نواديه المفضلة حيث يشرب الويسكي إلى أن تذوب مفاصله؛ فتلتقطه إحدى الفتيات العاريات وتقود سيارته الفارهة من نوع «**Ferrari**» إلى منزله لقضاء ليلة ممتعة كما يظنها سائر، كل يوم سهرة أخرى وفتاة أخرى وذنب أكبر، كل يوم يفعل ما يهوى ولا يدري كَيف أو لماذا؟ لكن تلك الليلة لم تكن كسابقتِها، كانت معه تلك التي يرغب فتيان المكسيك بأسرهم معاشرتها؛ روز ذات الشعر الكستنائي، جسدها ذاك الشراب البارد الذي يسلبهم أذهانهم، لعينيها لغة خاصة تتملك كيان الرجل، روحه، جسده، وعقله!

اعتاد أن يكون بجوار فتاة في سريره وعقله مع أخرى، جسده كان ملوثًا، ولكن قلبه كان كالفتاة العذراء! يعشق ولا يمنعه عن البوح بعشقه سوى شيئين ليس لهما ثالث؛ الأول: أفعاله البذيئة التي أصبح لا يستطيع العيش بدونها؛ فهي كالبلازما في دمه، والثاني: هو خطيبته؛ يعلم أنها تعشقه وتسعى لإسعاده لكنه منذ أن رأى ميرا فقد القدرة على إسعاد أمل أو على الأقل معاملتها برفق، يعلم أنه ظلمها ويظلمها معه دومًا، لكنه لا يعشق سوى الامتلاك، يمتلك المال والكيان والفتيات، يحصل على ما يريد ممن يريد وقتما يرغب، وعند شعوره بالوهن والتراجع للحظات يرتمي بين أحضان كلمات مَن تمده بالقوة.. أمل!

نهض من الفراش وارتدى بنطاله وقميصه وأخذ مفاتيح سيارته الثمينة وانطلق فجرًا بحثًا عن فضاء يتحمل قاذورات روحه، الناس نيام ولا يملأ الطرق سوى القطط الصغيرة، والسحب تشوب السماء، سحب كثيفة تنذر بقدوم المطر بعد دقائق قليلة.

توقف سائر على إحدى الكباري القريبة من خليج المكسيك ونظر في السماء شاردًا في شجونه السائرة، أخرج زجاجة النبيذ التي لا تتعدى الربع لتر وبدأ في الشرب.

ـ تعالي يا سمر عايزك في حاجة مهمة.

قالها والد سمر وهو ينظر لها نظرةً حادة، قالها بحزم وانصرف إلى غرفته في خطواتٍ سريعة، خرجَت خلفه ونظرت حولها فلَم تجد أمل أو حتى والدتها، اعتقدت أنهم مجتمعين في غرفة أبيها؛ فتقدمت بهدوءٍ لتلك الغرفة لترى ما ينتظرها هناك، جالت عينيها بالغرفة تفحصها جيدًا لكن لا يوجد سوى أبيها، شعرت بالتوتر واعتراها الخوف؛ فقررت أن تسأله عن أختها وأمها لعلها تهدأ من هذا القلق قليلًا:

ـ أمل وماما فين يا بابا؟

ـ عند خالتك وشوية وجايين.

زاد قلقها، فما الذي يريده أبيها يستدعي عدم وجودهما، فاستطردت:

ـ خير يا بابا؟ شكلك عايزني في حاجة مهمة.

ـ بتحبي رامي؟

نظرت لوالدها نظرةً صادمة وحاولت النطق ولكنها تهتهت للحظات، فأكمل أبيها بعد أن أمسك بذراعها في رفقٍ:

ـ ماتخافيش أنا أبوكي، عمري ماهأذيكي، قولي وماتخافيش.

شعرت أن والدها سيحتوي ما بداخلها وسيتفهمها، لكنها ما زالت متوترة، فوالدها جعل أمها وأختها تذهبان من المنزل وهذا غير مبشر

بالخير، لكنها استجمعت قواها وقررت أن تصارح والدها، فمهما حدث سيظل والدها..

ـ آه بحبه.

نظر لها والدها نظرة جادة فدب الرعب في خلايا جسدها، ثم تراخى بعد أنفاسٍ متصارعة وغضب ملامحه واستكمل:

ـ أختك حكت لي كل حاجة، كان ها يبقى أفضل لو حكيتي إنتي لماما، بس جدعة إنك اتعاملتي مع أختك زي صاحبتك وماقولتيش لحد غيرها، أول حاجة أنا لا هاعترض ولا هازعق ولا هعمل أي حاجة إنتي متوقعاها، بس دلوقتي يا بنتي إنتي في فترة دراسة، يعني أكبر نسبة من تركيزك لازم تبقى في مذاكرتك، أنا سألت عليه وطلع شخص محترم وابن ناس محترمين، ودا طبعًا كان أول مقياس أو بمعنى أصح الشرط الأهم، تاني حاجة؛ أختك قالت لي إنه عنده استعداد يخطبك، وطبعًا دا ها يبقى أفضل؛ لأن زي ما انتي عارفة في مجتمعنا البنت لو علاقتها بولد ارتباط من غير خطوبة أو حاجة رسمي؛ كل واحد بيطلع كلمة على مزاجه والبنت مالهاش إلا سمعتها، فأنا قررت أتكلم معاه واشوف ناوي على إيه، ولو زي ما أختك بتقول خايف عليكي وعايز يطلبك مني يبقى مفيش مشكلة..

اندفعت سمر لحضن أبيها باكية، وقالت:

ـ إنت أحسن أب في الدنيا.

رد والدها بحزم:

ـ بس زي ما هعمل لك اللي ها يبسطك وفي نفس الوقت يحافظ عليكي؛ تديني حقي وما تقصريش، مذاكرتك ثم مذاكرتك

ثم مذاكرتك، لو أي حاجة من اللي قلتها أثرت على مذاكرتك بنسبة ١٪ هبوَّظ كل حاجة ومن غير ما آخذ رأيك، وأظن أنا كدا عادل، إديتك حقك وهاخد حقي.

- معاك حق، أوعدك مش هقصر في حاجة.

ابتسم لها والدها في نظرة رضا، ثم جذبها وقبَّل جبينها وأكمل:

- يللا روحي أوضتك كملي اللي كنتي بتعمليه.

نهضت لكي تنصرف فناداها والدها قبل أن تصل إلى الباب:

- تعالي، نسيت أقول لك حاجة.
- نعم يا بابا؟
- أنا بحبك ومهما حصل هافضل أحبك علشان إنتي بنتي، واللي يزعلك هايزعل مني وها يشوف وِش وحش جدًا؛ حتى هو لو عمل حاجة زعلتك أو شفت دمعة على خدك بسببه ماتلومنيش على اللي هاعمله!
- اللي تشوفه يا بابا.

دخلت سمر غرفتها وعقلها وقلبها في قمة نشوتهما من فرط السعادة، ارتمت على سريرها وتأملت سقف غرفتها، كان يحتوي على دميتين؛ الدميتين الخاصتان بأختها وبعض النجوم اللامعة، نظرت لهم وكأنها تحلق بالسماء ليلًا، لم تمضِ سوى بضع دقائق من النشوة، ثم ذهبت في سُباتٍ ساحق.

- أحمد إنت لازم تكون موجود في قراية فاتحة سمر، إنت عارف مريم كانت بتحبها ازاي، وأكيد ها تفرح أما تعرف إنك جيت، روحها ها تبقى معاك ومعانا.

قالتها أمل في إحدى زياراتها له في المستشفى، نظر لها بدون ردٍ، ثم أدار وجهه تجاه العصافير الواقفة على أغصان الأشجار في حديقة المستشفى، فاستطردت بعد عدم رده عليها:

- ها تيجي؟
- هاجي يا أمل.
- تنورني، هستناك.

انصرفت أمل تاركة أحمد، ثم ذهبت للطبيب لتسأله عن حالته التي يبدو أنها لم تتحسن بعد، أخذت شهيقًا، ثم سألت الطبيب:

- أحمد حالته عاملة إيه يا دكتور، وقدامه قد إيه ويرجع كويس زي الأول؟
- بصي يا آنسة أمل، هو زي ما انتي عارفه عنده trauma؛ بمعنى أصح عنده صدمة نفسية، اللي مر بيه مش حاجة سهلة، التوتر بقى صديق ليه، وكمان بقى عنده مشاعر عجز ورعب وعصبية زايدة مش عادية، نفسيًا بقى بيحاول يهرب بعقله عن حاجات كتير أولهم حادثة مريم أو الموقف كله يعني، أحيانًا مابيعرفش يسيطر على سلوكه وبيتشنج وطبعًا بنضطر نديه مُهدئ، وكل الحاجات دي علشان تختفي تدريجيًا هتاخد وقت كبير، طبعًا مش عايزين نلجأ للعلاج الدوائي والمهدئات والحقن باستمرار اللي موالها مابيخلصش، لكن في طرق كتير للعلاج وكله بقى

على حسب مدى استجابته، واحنا طبعًا هانعمل اللي علينا، هو الحمد لله إلى حدٍ ما رجع يتكلم ولو قليل بس في استجابه، وإن شاء الله ها يرجع أحسن من الأول.

نهضت مستعدة للرحيل ومدت يدها لتصافح الطبيب قائلة:

ـ شكرًا يا دكتور، هاستأذنك.

ـ دا واجبنا، اتفضلي.

غادرت المستشفى يائسةً مما قاله لها الطبيب، قررت الذهاب لإحدى الشواطىء لتلتقط بعض الهواء النقي بعيدًا عن زحمة المدينة وبؤسها التي لطالما تساءلت عن سر غَمرُه للمدينه، ركبت تاكسي وأخبرته باسم الشاطئ؛ الشاطئ الذي لا تجد السكون والراحة إلا فيه، الشاطئ الذي كانت ترتاده هي ومريم دائمًا عندما يشعران بالضغط، الشاطئ الذي ذهبت إليه سمر مع رامي في إحدى المرات، لا أدري أذهبت إليه أمل لتهرب من تلك القصص؟ أم لتستعيد ذروتها في ذهنها؟ أم لتستحضر روح مريم التي عشقت ذلك الشاطئ ووقعت في غرام مياهه قبل أن تقع في غرام أحمد؟ وصلت وبدأت تخطو على رماله الصفراء، أمعنت نظرها في أبعد نقطةٍ رأتها عيناها في البحر، تساقطت قطرات دمعاتها على وجنتيها، فمنذ مدة لم تبك قط! ازدادت شدة قطرات دموعها إلى أن أصبحت شلالًا متدفقًا على خديها، هبطت بركبتيها على الرمال أمام الشاطئ، ونظرت إلى السماء وزفرت في حُرقةٍ:

ـ يا رب اديني الصبر يا رب، أنا تعبت أوي أوي، ياا رب.

سكتت قليلًا وأطرقت رأسها أرضًا، ثم أكملت عاجزة:

- مريم.. وحشتيني أوي يا مريم، محتاجالك أوي، تعالي ماتسيبينيش لوحدي، طب عايزة آجي عندك، عايزاكي يا مريم.

قالت تلك الكلمات يائسة، فلا رجعة لمن مات، أملها الأول والأخير أن يأخذها الله عنده لترى صديقتها، بل لتستريح مما تواجهه، لتلقي بهمومها بعض الوقت في البحر لعلها تهدأ!

يد ناعمة تمتد على كتفيها في رفق لتُهدئ من بكائها، انتفضت أمل قائلة:

- مريم؟

نظرت خلفها لترى لمن تلك اليد الناعمة، ابتسمت ابتسامة واسعةً من شدة مفاجأة من رأت، قالت متلهفةً:

- رهف! وحشتيني، عرفتي ازاي إني هنا، وبتعملي إيه هنا؟
- أنا جيت هنا صدفة يعني، أنا باجي هنا كتير أنا وصاحبتي، بس مقابلتي ليكي النهاردة هي اللي أجمل صدفة، قومي قومي هاتي حضن.

قامت مسرعةً وارتمت بين أحضان صديقة طفولتها باكيةً، نعم فهما أبناء نفس الحي، كانا أكثر من مجرد صديقتين لكن ظروف عمل والديهما اضطرتهما للانتقال لأحياء أخرى، فابتعدتا عن بعضهما قليلًا، كانا يتواصلان إلى أن انقطع التواصل بينهما وانشغلت كل منهما في دوامتها، طال حضنهما دقائق قاربت الربع ساعة؛ فاشتياقهما لبعض غلب على مشاعرهما الأخرى تجاه ما يمُرَّا به، جلسا على إحدى المقاعد بالشاطئ البعيدة عن المياه وبدأتا في الحديث:

- أخبارك إيه يا أمل احكي لي، ومريم بتشوفيها ولا لأ؟ وحشتني أوي هي كمان واشتقت لقعدتكم جدًا، وسمر إيه أخبارها؟

نظرت أمل لعيني رهف، تمالكت أعصابها، ثم شرعت في الحديث:

- سمر بخير، بقت في تانية ثانوي، ادعي لها بقى.
- بسم الله ما شاء الله، كبرت وبقت عروسة.

سكتا للحظات متأملين البحر، ثم أكملت:

- سألتك عن مريم، اوعي تكوني ما تعرفيش عنها حاجة؟
- مريم!
- آه مريم، مالك ارتبكتي كدا ليه، مالها مريم؟
- مريم ماتت يا رهف.

وقعت عليها تلك الكلمات كالصاعقة، تحررت إحدى دمعاتها، ثم ردت:

- إزاي يا أمل، ماتت ازاي؟
- ماتت قريب أوي بالكانسر، لا لأ.. الكانسر ما موِّتهاش، هي مصبرتش، ماتت بالمهدئات.. ماتت يا رهف وسابتني.

أمسكت رهف بكف أمل وردت حانقة:

- كل اللي عشقناهم سابونا ومشيوا، ربنا يعجل بموتنا بقى علشان نروح لهم بسرعة.. كفاية، حياتنا من غيرهم وحشة ومالهاش طعم.
- قصدك إيه بكل اللي عشقناهم سابونا؟

تنهدت رهف وأجابتها:

- حبيب عمري، اللي قررت إني مش هاكون لغيره حتى لو ماكنتش لحد، اللي من يوم ما وعيت ع الدنيا وعنيا فتحت وانا ما شفتش غيره ومالیش غيره.. سابني يا أمل ومشي.
- رامز؟!
- اتقتل.

ساد الصمت بعد أن سمعا تلك الأخبار من بعضهما التي أصبحت كقذائف المولوتوف المتتابعة، الموت.. الفراق.. وما أقسى الفراق!

ـ شكرًا جدًا، أستأذن.

قالتها ميرا لموظف مركز الهواتف بعد أن أخذت الهاتف وكان قد تم فتحه بنجاح بدون أن يحذف من عليه ملف واحد، انصرفت مسرعةً؛ فهي مَن أقنعتْ رهف بالذهاب إلى الشاطئ بعض الوقت لتكون وحدها وهي تُحضر الهاتف، ركبت سيارة الأجرة، وقالت للسائق:

ـ خدني لأي حته وهديك اللي انت عاوزه، بس لف كتير.

ـ حاضر يا آنسة.

وضعت سماعات الهاتف ذات الأسلاك، ثم بدأت في فحص الهاتف، فتحت الجزء الخاص بمقاطع الفيديو فوجدت مقطعين، تأكدت أن هذا هو ما يرغب رامز أن تعرفه، علمت أن لتلك المقاطع علاقة بما حدث لحبيبها، بدأت يداها ترتعش واقتربت بسبابتها تجاه المقطع الأول.

ـ حفرنا كتير يا باشا في البيت دا ومفيش حاجة، شكل الراجل دا طلع نصاب، تعاويذ وسبح وحاجات غريبة وفي الآخر مانلاقيش حاجة، أنا هاجيبه.

- خليك كدا تفكر في الحاجة اللي مش ها توصلنا لنتيجة وتسيب المهم، اسمعني كويس وركز في اللي هقوله وما تتهورش وتعمل غيره، البيت دا يتباع في أسرع وقت، وتدور في نفس الوقت على الأرض اللي فيها حتت كتير وتبدأ تحفر بسرعة، لو مأنجزتش إحنا اللي ها نتضر هنا، فاهم يعني إيه ها نتضر هنا؟ بلاش أقول لك بس مفيش غير حل من اتنين؛ يا فلوس ونعيم ما تتخيلوش إنت وأهلك، يا مش ها يطلع عليك نهار يا سائر!
- أوامرك يا باشا، ها تسمع أخبار حلوة قريب يا فريد بيه.

«**فريد بيه**»! إنه اسم وصوت والدها، إنها عيناه ويداه وشعره، إنه والدها بكل ما فيه من تفاصيل، ومن هذا الذي نطق أبيها باسمه؛ سائر.. سائر النقراشي!

أوقفت الفيديو للحظاتٍ مذهولة، أسائر ووالدها يتاجران ويبحثان عن الآثار؟ أيرتكبان تلك الجرائم بحق؟ إذًا سائر يعمل تحت يد أبيها، وأبيها يعمل تحت يد أحدهم، وقد يكون كَبيرهم، أيقوم أبيها بتبديد ثروة البلد الحضارية من أجل أهدافه المادية؟ أوصل حال أبيها إلى تلك الدرجةِ من الخيانة والدناءة؟ وبرغم ما فعل سمح لسائر بالتقرب منها؟ سمح لذلك الخائن بالتقرب من ابنته الوحيدة؟ ما ذلك المبرر الذي سمح له بفعل هذا؟ استفاقت ميرا من شرودها وتساؤلاتها وقامت بفتح المقطع مرة أخرى لتستكمل ما كانت تسمعه من صدماتٍ وأوجاع:

«**آسفة يا بابا ماكنتش أعرف إن عندك حد**»، تذكرت ميرا ذاك اليوم، فكان سائر يتحدث مع أبيها وتوقفا عن الحديث فجأة عندما دخلت المكتب، الثامن والعشرون من مارس، ذلك اليوم الذي عرَّفها أبوها عليه،

أغلقت ميرا ذلك المقطع؛ فهي لا تريد سماع شيئًا آخر، كما أنها تعرف تمامًا ما دار من حديث بعد أن دخلت المكتب.

هذا الإحساس الغريب من التوهان، ثمة مشاعر متداخلة تملكت منك، كشعور المريض المحموم الذي يهذي أو كالمستفيق من بنج العمليات، تصبح كالغاطس تحت سطح الماء؛ يرى الناس تتحرك وتتحدث ولكنه لا يسمع سوى همهمات غير مفهومة، كأنك تنظر للناس من خلال كاميرا؛ تراهم ولا يرونك، تشعر بهم ولا يشعرون بك، بل هم أصلا لا يعبئون لوجودك، لو تكلمت أو صرخت فلن يلتفت إليك أحد!

ـ يا آنسة، بقالنا ساعة بنلف ومش عارف أنزلك فين لحد دلوقتي.

قالها سائق التاكسي لـ ميرا، لكن شرودها وصراع عقلها حجب الأصوات عن أذنيها، ناداها مرةً أخرى لعلها تلتفت إليه وتجيب أسئلته:

ـ يا آنسة ردي، أنزلك فين؟ يا آنسة!

ـ أنا آسفة جدًا ماخدتش بالي، حضرتك كنت بتقول إيه؟

ـ بقول لك بقالنا ساعة بنلف ومش عارف ها تنزلي فين؟

أخبرته ميرا على الفور بعنوان الشاطئ غير متذكرة أنها أرسلت رهف هناك لترخي أعصابها؛ فتلقائيًا هذا المكان الذي يخطر على عقلها لتفكر وتهدأ، ولكن تلك المرة كانت غير سابقتها من المرات، ازدادت التراكمات وازدادت الألغاز وحيرة ميرا، ازدادت أوجاعها إلى حد أنها لم تصبح أوجاع روح فقط؛ أصبحت أوجاع روح وجسد!

- تعالي عندي البيت شوية نتكلم عشان الجو بدأ يبرد.

قالتها رهف وكان قد سرقهما الوقت، أربع ساعات متواصلة إلى أن حل الغروب وفرد أجنحته على سحب سماء الإسكندرية، يتحدثان وكأنهما يسكبان النفط في المياه العذبة، وأرواحهما تتدمر ببطء.

- لا لا يا رهف، أنا يدوب أروح البيت أدي لماما علاج الضغط علشان ها تنسى، بس تعالي نتمشى شوية لحد ما اركب واهو نتكلم شوية.
- خلاص ماشي يللا، ألف سلامة على مامتك يا أمل.
- الله يسلمك يا حبيبتي.

هبَّا للسير سويًا بعد أن خيَّم الحزن على ملامحهما أضعاف السابق، تشابكت أصابعهما وأخذا يتحدثان ثانيةً بعد أن ساد الصمت لدقائق:

- سمر هاتتخطب قريب.
- بتقولي إيه؟! البنت صغيرة لسه تتخطب ازاي؟ ولَّا دا غصب؟
- اهدي اهدي وافهمي الأول، هو بيحبها جدًا وهي كمان بتحبه أوي.

قاطعتها رهف معارضة:

- يا بنتي دي مراهقة، يعني مش حب، دا إعجاب، بس علشان في سنها قلبها مفتوح ومفيش قيود، تقوموا تخطبوها!

أجابت أمل في اندفاع:

- طب ما انتي من يوم ما وعيتي ع الدنيا بتحبي رامز، حذرناكي كتير إنه مراهقة وهو مش ها يحبك، بس انتي فضلتي تحبيه

برغم كلامنا ولحد النهاردة أهوه! يبقى مش كل حب في السن دا مراهقة يا رهف ولا أنا غلطانة؟

امتلأت عينا رهف بالدموع بعد ما قالته أمل وكأنها تهاجم خصمها، تذكرت عشق رامز لميرا، تذكرت فراق رامز لها، فارقها رامز بدون سابق إنذار، حتى بدون أن يودعها.

شعرت أمل أنها ارتكبت خطأً فادحًا باندفاعها الغير محسوب هذا؛ فاستطردت بعد ثوان معدودة:

- أنا آسفة يا رهف مش قصدي، والله مش قصدي.
- ما يهمكيش، عادي كملي محصلش حاجة يعني ما هي دي الحقيقية.
- أنا قصدي إن الحب مالوش سن، وانا شفت الحب في عيون سمر، حاولت أبعدها عنه بس اتأكدت إنها بتحبه، وهو كمان كلمني وأصر يخطبها علشان خايف عليها من أي كلمة تتقال عليها بره؛ فأقنعت بابا وهو ما مانعش طالما كله قدامهم، وحط لها شروط علشان الموضوع يكمل.
- وافرضي بعد الشر سابها أو هي حبت حد غيره؟
- تبقى اتعلمت، وكل خطوة بتحصل لحد مننا بياخد بيها خبرة، فهي بتتعلم، ولو ربنا كرمها والموضوع كمل على خير؛ يبقى اختيارها كان صح، خصوصًا إن الولد شاريها.
- على كل حال ربنا يتمم لها على خير ويطلع نصيبها أحسن من نصيبي ونصيبك.

سكتت لحظات شاردة، ثم استطردت:

- ونصيب مريم الله يرحمها في الدنيا.

- يا رب يا رهف يا رب.

أوقفت أمل سيارة أجرة مشيرة له إلى عنوان منزلها، وودعت رهف بحضنٍ طويل إلى حدٍ ما، ثم ركبت التاكسي ومضت إلى منزلها، أوقفت رهف تاكسيًا آخرًا وذهبت للمنزل اعتقادًا منها أنها تأخرت على ميرا.

في نفس اللحظة وصلت ميرا إلى الشاطئ، وقبل أن تخطو داخله رأت من بعيد رهف وهي توقف السيارة، فهمت أن رهف عائدة للمنزل بعد أن تذكرت أنها أرسلتها للشاطئ حتى لا تأتي معها، اختبأت ميرا خلف إحدى أعمدة الكهرباء إلى أن ذهبت رهف.

- مش عارف أشكرك ازاي يا سائر، إنت تستاهل تبقى راجل من رجالتي.

قالها فريد في مكتبه بمنزله في المكسيك، أجابه سائر:

- العفو يا باشا، أنا نزلت لـ (٣) مهمات والحمد لله كنت قدهم.

- الأهم من كل دا إنك طمنتني على بنتي، كنت عايزك تستنى هناك شوية، بس الشغل هنا محتاجك بردو!

سكت للحظات، ثم أكمل بنبرةِ خبثٍ خافتة:

- زي شغل امبارح كدا، بقى يبقى معاك شغل مهم كدا وماتقوليش! دي حتى حبيبتنا ومش غريبة علينا، ولا إيه؟

أدرك سائر تلقائيًا أن فريد يقصد روز صديقة ابنته، رد قائلًا:

- لولاها يا باشا ماكنتش أنجزت المهمة الأهم بالنسبة لك، هي اللي عرَّفتني على ميرا ولازم أديها حقها بردو يا فريد بيه.

صمت لحظات، ثم أكمل بتلك الجملة الخاصة بفريد:

- ولا إيه يا باشا؟

نظر فريد لسائر نظرة تعجب من ذكائه الشديد، وخبرته في العبث بالكلمات، وردَّ:

- جدع يا واد.
- دلوقتي يا باشا أنا نفذت المطلوب وعايز حقي، أعتقد أنا ما قصَّرتش؟
- حقك ها يوصل، خمسة مليون دولار ها يروحوا حسابك النهاردة بليل.
- خمسة مليون إيه يا باشا، دول تمن إيه بالظبط ولا إيه؟
- دا اللي اتفقنا عليه قبل ما تنزل مصر، ولا إيه؟
- لا لا دا تمن عمليتين بس، وبالنسبة لميرا؟
- إنت اتجننت! عايز إيه تاني أكتر من كدا؟
- ٧ مليون.

فكر فريد للحظات، ثم أجابه:

- ماشي يا سائر، موافق.

نهض سائر مبتسمًا وقال:

- أستأذن أنا يا باشا.
- هه.. مع السلامة.

خرج من منزل فريد مسرعًا؛ فالفتاة تنتظره منذ فترةٍ لا بأس بها، جلس بجوارها وسألها:

- تيجي البيت عندي ولا نخرج يا روز؟
- البيت يا حبيبي طبعًا.

قالتها روز بهمس مقتربة من شفتيه بعد أن حررت أزرار قميصه الأولى، وحركت أطراف أصابعها الملساء على صدره، أبعدها عنه ببطءٍ قائلًا بصوتٍ خافت:

- نروح البيت الأول وخدي راحتك هناك.
- Okay

- عايزة أروح شقة رامز يا رهف.

قالتها ميرا شوقًا إلى رامز، رغبت أن تذهب لمنزله لتشتم رائحته في أركان المنزل، لتتأمل صوره المعلقة على الحائط، كم اشتاقت لعيني رامز.. كلماته.. وكذلك حضنه!

أجابتها رهف:

- ليه، خير يعني؟
- عادي، عايزة أروح، محتاجة أروح، محتاجة أبقى في المكان اللي كان بينام فيه، عايزة أحس بوجوده، ما تنكريش إن انتي كمان محتاجة كدا، ما تنكريش يا رهف إن رامز وحشك.
- أنكر! أنكر إيه؟ أنكر إني متشاقة لحتة مني بعد ما فقدتها؟ هانروح يا ميرا هانروح حاضر، ساعة بس وقومي البسي.

انصرفت رهف بعد أن ابتسمت إلى ميرا بهدوء، شعرت ميرا أن لوجودها في بيت رامز نتائج هامة، أحست أن شيئًا ما سيبدو إذا تواجدت هناك، ملأت التراكمات عقلها وقلبها بدايةً من موت رامز.. انتهاءً بذلك المقطع، دب فيها هذا المقطع مشاعر متناقضة، مشاعر متفرقة، أوجاع تحاوطها من جميع الجهات، صراع في عقلها بين عدم رغبتها في إيذاء والدها، ورغبتها الأقوى في أن تنهي وجود حقارتهم من هذا العالم، بدأت تفكر مرة أخرى في الأسئلة التي جدت على ذهنها، من أين حصل رامز على ذلك المقطع؟ ما علاقة رامز بسائر وفريد؟ والأهم من ذلك ما هي تلك العلاقة التي تربط بين قتل رامز وهذا المقطع اللعين؟

بعد ساعة ارتدت ميرا ملابسها كما فعلت رهف وذهبتا مسرعتين لمنزل رامز لقضاء بعض الوقت بين أطلال حياته المسلوبة، أخذت ميرا سيارة والد رهف بعد موافقته، ركبتا السيارة وجلست ميرا في مقعد السائق وشرعت في القيادة إلى المنزل.

ـ عايزة أسمَّعك حاجة كان رامز بيحبها أوي.

قالتها رهف ممسكةً بسلك الـ USB لتبدأ في تشغيل أغنية لطالما أحبها رامز كما قالت لميرا، أجابتها ميرا:

ـ ماشي يا ريت.. سمَّعيني.

بيقولوا الحب بيقتل الوقت

وبيقولوا الوقت بيقتل الحب

يا حبيبي تعا تا نروح

قبل الوقت، وقبل الحب!

ساد الصمت بينهما مستمعتين إلى أنغام صوت الجميلة.. من يطلقون عليها «**جارة القمر**»، تستمعان إلى سيدة طرب قلب وأذن ميرا؛ الفيروزة الأخاذة، مر أكثر من نصف ساعة في الطريق وهما لا يملَّان سماعها، أكثر من نصف ساعة يعيدا تشغيل تلك الأغنية ويرددها على شفاههما بصوتٍ خافت وحركاتٍ ساطعة، وصلتا إلى المنزل، نزلتا بخطواتٍ هادئة وصعدتا ممسكتين بكفوف بعضهما، لم يمر عليهما أكثر من ربع ساعة إلا ووجدتا دقات على باب المنزل؛ دقات هادئة، نظرتا إلى بعضهما متعجبتين، فمن أتى لرامز في هذا الوقت؟! ألم يعرف بموته؟ توقفت الدقات بعدما اقتربت رهف من مقبض الباب لتفتحه لترى من هذا.

أمسكت المقبض ونظرت إلى ميرا خلفها تنم ملامحها عن التساؤل، فتحت الباب.. لا يوجد أحد.. لا يوجد سوى تيار هواء حرك خصلات شعرها، تقدمت خطوتين لترى جيدًا ربما مضى ذلك الشخص، لكن تعثرت قدماها بصندوقٍ صغير، صندوق لم يتعدَّ العشرين سنتيمتر، تناولته من الأرض لترى ماكُتب عليه، إنه آتٍ من المكسيك، هذا ما قالته إلى ميرا..

توقعت ميرا في قرارة نفسها أنه إحدى الخيوط الخاصة بتلك القضية؛ أو لا بُدَّ أنها من صديقه الذي أخبرها أنه كان في المكسيك لرؤيته من قبل؛ أو أنه شيء يخص والدها! دارت كل تلك الأفكار بذهنها ولم تفصح عنها لرهف، ولكن رهف قطعت حبل تفكيرها بتلك العبارة:

ـ تلاقيها هدية من حد من أصحابه هناك، بس ما يعرفش إنه مات.

أثارت تلك العبارة تفكير ميرا، إذًا فلا بد أن رهف تعرف أصدقائه أو على الأقل أسمائهم وعناوينهم خارج البلاد، ردت ميرا متسائلة:

- إنتي تعرفي أصاحبه في المكسيك؟
- لا معرفهمش.

خيبت آمال ميرا في تلك اللحظة، لكنها استطردت:

- أعرف أقربهم ليه بس؛ علشان هو من هنا وكان بييجي له كتير.

تمنت ميرا ألا يكون هو من جال بخاطرها، سكتت قليلًا ثم ردت:

- طب ما تعملي لنا حاجة نشربها!
- إنتي ناسية إن مفيش حاجة في البيت تتعمل، كله اترمى من بعد موت رامز.
- طب ما تنزلي تشتري وتعالي اعملي، أنا دماغي مصدعة جدًا، فاهتعبك معايا.
- لا تعب ولا حاجة، طيب مش هتأخر.

أغلقت رهف الباب خلفها بعد أن أخذت بعض المال من حافظتها، تناولت ميرا الصندوق الصغير مسرعةً وقررت فتحه دون تفكير، قطن.. قطن.. قطن.. الكثير من القطن، أفرغت الصندوق ولم تجد سوى القطن، تنهدت بعدما ألقت بالصندوق أرضًا يائسةً من إيجاد شيءٍ به، لكن في نفس اللحظة سمعت صوتًا كرنين مسمار أو مشبك حجاب على سيراميك الغرفة، التفتت خلفها لترى مصدر ذلك الصوت، إنها بطاقة ذاكرة أو كما يسمونها memory، التقطتها مسرعةً بعد أن سمعت خطوات أقدام رهف ووضعتها في شنطتها الجلدية، ثم جلست متظاهرةً باليأس من إيجاد شيءٍ في الطرد.

دخلت رهف فرأت القطن على الأرض وبجواره الصندوق الصغير؛ فتحدثت متسائلةً:

- إنتي فتحتي الطرد ليه؟
- قلقت بصراحة يكون فيه حاجة ليها علاقة باللي حصل لرامز فامقدرتش وفتحته.
- ولقيتي حاجة؟
- دورت كويس ومالقيتش غير قطن بس.
- طيب أنا هقوم اعمل نسكافيه.

نهضت رهف مسرعةً لتعد النسكافيه، بينما تناولت ميرا هاتفها وأخذت الميموري من شنطتها وأسرعت بالدخول إلى المرحاض، أغلقت الباب بإحكام ومن ثَمَّ وضعت الميموري في هاتفها وبدأت بفحص ما عليه من ملفاتٍ جيدًا، لم تجد أي مقطع أو صور فقررت فتح الملف الخاص بالتسجيلات، تسجيلان مدة كل منهما عشرين دقيقة، قامت بخفض الصوت حتى لا تسمع رهف وفتحت التسجيل الأول.

سيطر البكاء عليها بعد أن سمعت هذا المقطع؛ إنها آخر مقابلة بين سائر وفريد في فيلته، تمالكت أعصابها كي لا تلاحظ رهف ما بدا عليها.. غسلت وجهها ومن ثَمَّ نادتها رهف قلقةً عليها؛ فقد تخطت العشرين دقيقة في المرحاض، ردت ميرا:

- ثواني وجاية.

جففت ميرا وجهها وخرجت بعد أن وضعت هاتفها في جيبها؛ ففوجئت برهف تنتظرها أمام الباب مباشرة، سألتها بعد أن لاحظت احمرار وجنتيها وجفونها:

- إنتي كويسة؟

أجابتها بتوترٍ:

ـ آه.. آه كويسة.

ـ متأكدة؟

سكتت ثوانٍ، ثم أجابتها:

ـ رامز وحشني بس.

احتضنتها رهف على الفور قائلةً:

ـ ووحشني أنا كمان، ادعي له واقري له الفاتحة.

ـ ربنا يرحمه.

يوم جديد وشمس جديدة، طاقة جديدة تدب في جسد أمل، ليست طاقة بالفعل وإنما هي تتصنع ملء جسدها وذهنها بالطاقة؛ لكي تُسعد أختها وأباها وأمها؛ فاليوم خطبة سمر، لم يمر أكثر من تسعة أيام منذ ذاك الحديث الذي دار بين سمر وأبيها إلا وتقدم رامي لخطبتها وقد وافق والدها، وافق على الفور.. فابنته تعشقه.. وهو كذلك يعشقها!

مرت الست ساعات الأولى من اليوم منذ الساعة الثانية عشر ظهرًا في سلاسةٍ وهدوءٍ تام، هدوء عقلي لكلٍّ من والدها ووالدتها وسمر أيضًا.. استعدادات تقليدية ليوم الخطبة، لكنهم لم يبالغوا في تلك التجهيزات إطلاقا، حتى أنهم لم يقوموا بدعوة الكثيرين، فدعا والدها أخيه وزوجته، ودعت والدتها أختها الكبرى، بمعنى أوضح دعوا أقاربهم من الدرجة الثانية والثالثة فقط، أما أمل فلا أحد لها لتدعوه سوى اثنين وهما أقربهما إلى روحها، الأولى هي رهف صديقة طفولتها، فقد افتقدتها كثيرا..

افتقدت ضحكتها وألعابها وخروجهما سويًا، كما افتقدت مريم، فلم يعد بمقدورها فقدان رهف أيضًا، تمسكت برهف لعلها تمدها ببعض القوة، لكنها كلما تأملت تجد أن رهف أيضًا بحاجةٍ لمن يساندها، من يدعمها في حربها، من يُصبرها على فراق رامز، والثاني هو أحمد أو روح مريم، وجود أحمد في هذا اليوم يشعرها وكأن مريم لم تتركها لحظة، كما أن مناسبة كهذه من الممكن أن تُحسن من حالته قليلًا أو تؤثر إيجابيًا في روحه.

اقتربت الساعة إلى السادسة والنصف.. نظرت أمل لهاتفها بعد أن أنهكت جسدها؛ إنها رهف، ارتسمت ابتسامةً هادئة على شفتي أمل، ثم ردت على المكالمة:

- أيوه يا حبيبتي، إنتي فين؟
- في الطريق بس عايزة أقول لك حاجة.
- قولي.
- أنا جبت ميرا معايا، عايزاها تخرج من اللي هي فيه، تغير جو يمكن تعرف تفكر أحسن.
- طبعًا تنور وتشرف من غير كلام يا بنتي، يللا مستنياكم، سلام.

أغلقتا المكالمة وهما في إحدى درجات السعادة، فهما سيريا بعضهما مجددًا، سمعت أمل صوت جرس منزلهم؛ فذهبت على الفور لترى من بالباب، نظرت مما يدعونها: «**العين السحرية**»، إنه أحمد، أتى بمفرده على غير المتوقع، فتحت له الباب فتأملت ما رأت أمامها من فتنةٍ وجمال، أحمد يرتدي بدلته السوداء و"**الجرافات**" الزرقاء وذلك الحذاء الأسود اللامع، وتلك الساعة من نوع Omega سويسرية الصناعة، نظرت إلى الساعة فتذكرت مريم على الفور؛ فمريم هي من أحضرتها إلى أحمد

وكان معها أمل في آخر عيد مولدٍ له، بعد ثوانٍ معدودة من التأمل في أحمد مدت يدها لتصافحه بعينين متسعتين وابتسامة أكثر اتساعًا قائلة:

ـ نورت يا أحمد، كنت متأكدة إنك مش هاتخلف وعدك وهاتيجي.

ـ ربنا يكرمك، أنا كنت محتاج أغيَّر جو وبصراحة اتبسطت أما الدكتور وافق على خروجي.

ـ إيه دا يا عم؟ بقينا نتكلم زي الفل أهوه!

قالتها سعيدة مما رأت وسمعت من حديثٍ مع أحمد، أجابها مبتسمًا:

ـ هاتصدقيني لو قلت لك أنا ما بتكلمش غير مع حاجتين بس!

ـ إيه هما؟

ـ بلوزة مريم اللي كانت لابساها آخر يوم ليها عندك، وانتي يا أمل.

ـ اشمعنا بقى أنا؟ طب البلوزة وفاهمة ليه، إنما اشمعنا أنا؟

أجابها أحمد وقد هربت من عينيه دمعةً لم تقاوم حبستها داخل جفونه:

ـ إنتوا الاثنين من ريحتها.. إنتوا الاتنين حتة منها يا أمل.

سكتا لحظات فاستطرد:

ـ هو أنا هفضل على الباب كدا وباقي الحوار هنا؟

ـ معلش آسفه الكلام خدني بقى، اتفضل، بص أعتقد إنت ما تعرفش حد هنا، سلم على بابا وادخل البلكونة لحد ما آجي لك، زي ما انت شايف الناس بتيجي وانا لسه مالبستش.

مضت أمل لغرفتها مسرعة لتبدأ في تجهيز ما سترتديه تلك الليلة، وقبل أن تفتح دولابها وجدت هاتفها يرن مرةً أخرى، يا للملل! لم يتوقف هاتفها عن الرن منذ أن استيقظت لدرجة الإزعاج، أجابت بعد جهلها بهوية المتصل:

- ألو.. مين؟
- لبستي ولا لسه؟
- مين معايا؟
- مش عارفة صوتي يعني؟ لا أزعل كدا.
- سائر!
- ما انتي شاطرة أهوه.
- رقم مين دا يا سائر؟ دا رقم مصري، هو انت في مصر أساسًا؟
- دا بدل ما تقولي لي أخبارك إيه وحشتني!

تأففت أمل من ذلك الأسلوب الذي سأمته وملت منه، هدأت ثوانٍ؛ فأدرك سائر أنها لن تجيبه، بل أدرك أيضًا أنها ليست بقادرةٍ على تحمُّل كلماته ودعاباته التي تأتي في غير وقتها.. استطرد مسرعًا:

- أنا آسف.
- من إمتى اللطف دا؟!
- مش من إمتى، هو موجود بس الضغوط يا أمل، أنا يا ستي في مصر وجاي لك في السكة، دي حتى خطوبة أخت خطيبتي.

أجابت أمل بعد أن تملكت منها السعادة في أكثر الأوقات احتياجًا لها:

- إنت جاي ومش هاتسيبني النهاردة صح؟

- أيوه صح، واهدي كدا وقومي البسي بقى.

فتحت أمل دولابها مسرعةً وأخرجت فستانًا قد اشتراه لها سائر لكنها لم تكن تنوي ارتدائه، أخرجته فقط بعد أن علمت أنه قادم، حبيبها آت على الرغم من أنها تعرف أنها ليست من عاداته أن يلاطفها هكذا، وتعلم أن اليوم لن يمر دون جدالٍ معه، لكنها وللمرةِ الأولى قررت أن تستمتع بكلماته، تستمتع بالساعات القادمة، قررت أن تتصنع تصديقه، فاليوم كل من تحب سيكونوا معها، ينقصها أهمهم.. مريم!

ارتدت الفستان ووضعت القليل من أحمر الشفاة وحددت عينيها بالكحل، ارتدت أيضًا الحذاء الخاص بالفستان ذا الكعب العالي، وضعت القليل من العطر الذي يعشقه سائر منذ أن تعرف عليها، خرجت لتستقبل من أتى من ضيوف، بحثت عيناها عن أحدهم لدقائق، ثم تذكرت أنها أخبرته أن ينتظرها في الشرفة، ذهبت لأحمد ممسكة بفنجان القهوة «**ع الريحة**» الذي لطالما عشقه أحمد وعشقه أكثر بعدما أعدته مريم له، دخلت الشرفة مسرعة:

- قهوتك.
- تسلم إيدك، بس استني استني.. إيه الجمال دا؟
- لا جمال ولا حاجة، طبيعية أهوه.
- لا دا انتي ما بصتيش في المرايه بقى، طالعة شبه مريم جدا.
- شكلها وحشتك بس، علشان كدا شايفني شبهها، أنا وهي مش عشرة يومين، دي عشرة سنين، الطبيعي إننا ناخد من بعض كتير.
- دا حقيقي، ومش قادر اختلط بالعالم وهي مش فيه.

كان قد بدأ الحديث يأخذ مجرى بائس ليس كمثل ذاك اليوم، لكن قاطعهما وصول صديقة طفولة أمل بعد أن أوشكا على نسيان فرحة اليوم.

ـ وحشتيني جدًا.

قالتها أمل وهي بين ذراعي رهف؛ فأجابتها رهف بعد أن ابتعدت قليلًا وكان قد أوشك الباب على الانغلاق:

ـ يا بنتي، نسيتي إن ميرا معايا؟

ـ ماخدتش بالي.

أمسكت رهف بيد ميرا قائلة:

ـ ادخلي يا بنتي ماتقفيش كدا.

ـ ثانية، كنت هاقع.

قالتها ميرا، فضحكت رهف وأسندتها إلى أن ارتفعت بوجهها بعد أن كانت تعدل حذائها، طار شعرها عائدًا للخلف فرآها أحمد، رآها متعجبًا من تلك الملامح الطفولية، سلمت على أمل وعانقتها وكأنها إحدى صديقاتها اللاتي لم ترَهمْ منذ سنوات، لكن ما لفت انتباه الحاضرين وكذلك أمل وأحمد أناقتها؛ أناقة ميرا المفرطة؛ فهي ليست أنيقة بالملابس والأحذية والإكسسوارات فقط؛ أناقتها بالحديث؛ أناقتها باختيارها لهذا النوع من العطور الذي كاد أن يُشبه رائحة الأشجار وقت بزوغ الفجر، نعم فهي لا تفرق شيئًا عن العصافير الملونة التي تغرد على أغصان تلك الأشجار، جلس الأربعة أحمد وميرا وأمل ورهف على الكراسي أمام المنضدة مبتعدين عن زحمة الضيوف وضوضاء الموسيقى وأخذوا في الحديث:

ـ مالك متوترة ليه يا أمل؟

قالتها رهف متأملة تشابك أصابع أمل الذي ينم عن قلقها الشديد، أجابتها:

- مفيش مستنية خطيبي بس.
- طيب اهدي يعني زمانه جاي مش ها يطير.

لم تكمل رهف حديثها إلا وقاطعها دخيل على جلستهم:

- أنا جيت.

التفتت ميرا إلى الصوت مسرعةً فالصوت بات مألوفًا بالنسبةِ لها، سائر! إنه سائر، لم تتوقع أو ترغب في رؤيته إطلاقًا، نظر لها سائر متعجبًا من تلك الصدفة الغريبة، أجابته أمل مبتسمة:

- وحشتني.

نظر لها متوترًا، وغير قادرٍ على استجماع حروف كلماته، فتقف بجواره خطيبته أو مَن ادعى حبها، وتقف أمامه مَن عشقها بكل ما به من مشاعر!

نظرت له الأخرى رهف؛ فهي تعرف ملامحه جيدًا، أجاب سائر خطيبته ممسكًا بيدها:

- وانتي.. وانتي كمان، عاملة إيه؟
- الحمد لله بخير علشان شفتك بخير.

همست رهف في أذن ميرا بعد أن تذكرت ملامحه جيدًا:

- فاكرة في شقة رامز لما قلت لك إني أعرف مين من أصحاب رامز هناك؟ أهو الراجل دا صاحبه، وصاحبه جدًا كمان، وتقريبًا هو دا اللي رامز كان مسافر له، لا لا مش تقريبًا دا أكيد.

لم تستطع ميرا التفوه بكلمةٍ واحدة؛ فهي وحدها مَن تعرف حقيقة هذا الخائن، وحدها تعرف ما خطط ويُخطط له، لم تجب واستمرت في النظر لسائر متعجبةً من هذا الكم الهائل من كذب أفعاله وملامحه؛ يُمثل على أمل الحب وهو في المكسيك كل ليلةٍ مع فتاةٍ في فراشه القذر، تذكرت ميرا نفيه لسؤالها في حفلة روز بأنه ليس بخطيب أو متزوج أو غيره، أكان يحاول إيقاعها في عشقه؟! أم كان يحاول استدراجها ليقيم معها علاقة كما يفعل مع غيرها؟ تساءلت كيف يقف أمامها بكل هذا الثبات ولم تُقلل من هيبته درجة واحدة برغم كل ما يفعل؟! كيف ينظر بعينيها وهو شريك لوالدها في تلك الصفقات الحقيرة؟ بل يتقاضى ثمنًا مقابل إخبار والدها بمعلومات عنها في مصر.

دارت كل تلك الأفكار بذهن ميرا وللحظاتٍ بدأت بإمساك طرف الخيط، بدأت في استيعاب نقطةٍ مهمة، بل هي النقطة التي بدأت من خلالها طريق البحث ومن ثمَّ دخلت تلك الدوامة؛ قاتل رامز! فلقتل رامز علاقة واضحة بما يفعله سائر وفريد، بل يكاد يكون القاتل أحدهما.. سائر أو فريد!

لم ترغب بلفت الأنظار لها؛ فسلمت على أحمد وأمل وبالطبع سائر وكأنها لا تعرفه ولم ترَهُ من قبل، ثم همست في أذن رهف:

ـ أنا لازم امشي دلوقتي وماتقوليش لأ، خلصي اللي وراكي وتعالي علشان عايزاكي في حاجة مهمة جدًا ماتتأجلش.

ـ تعالي، هانزل معاكي أركبك تاكسي وهاخلص وآجي.

قالتها رهف بصوتٍ مسموع؛ فانتبه إليها أحمد مُجيبًا:

ـ استني، أنا ممكن أوصلك.

ردت أمل مندفعة:

ـ إنت لسه جاي ومقعدتش معانا، خليك ورهف هاتوصلها لتحت.

نظر أربعتهم إلى أمل متعجبين من قسوة تلك الكلمات التي لا تدري كيف قذفتها، نظرت لهم ثم استطردت قائلةً:

ـ قصدي اللي تشوفوه اعملوه، أنا داخلة لسمر دقيقتين أنا وسائر.

أخذت سائر مسرعة إلى سمر، التفت سائر ناظرًا إلى ميرا تلك النظرة التي تقول: «**سأشتاق إليكي كثيرا**» ثم ذهب مع أمل، لم تلحظ تلك النظرة فهي كانت مهتمة فقط بهروبها من هذا المجلس في أسرع وقت.

ـ يللا ما تزعليش، هي كدا بتموت في الدبش.

قالتها رهف ممسكةً بكف ميرا، نزلا بعض الدرجات على السلم، ثم بدأت رهف في الحديث وهما مستمرتين في النزول، ولكن تلك المرة ببطء:

ـ حاجة إيه اللي مهمة أوي كدا وما تستناش؟

ـ هي مش حاجة، هم حاجات ومش هقدر أشيلهم لوحدي، لازم تعرفيهم علشان نتحرك بقى.

ـ ليها علاقة بقتل رامز؟

نظرت ميرا للأعلى، فهما قد وصلتا عند مدخل المنزل، وجدت سائر يقف في الشرفة متأملها، بل من الواضح أنه انتظر ليراها، ردت على رهف ناظرةً إلى سائر:

ـ أيوه يا رهف أيوه.

لم يمر أكثر من نصف ساعة إلا وقد وصلت ميرا إلى المنزل، ضغطت على الجرس ففتحت لها والدة رهف، السيدة صفية أو كما يدعوها البعض صافي، فشكلها وملامحها وجسدها الذين جعلوها تكره اسمها وترى أنه أكبر من أن يكون لأمثالها؛ فجسدها بالنسبةِ لشرقنا الأوسط يُمثل جسد فتاةٍ في العشرينات من عمرها وليس لأمٍ في الخمسينات، لم يظهر عليها من علامات العجَز سوى ثلاث شعراتٍ بيضاء تخفيهم بحجابها الرقيق، السيدة صفية أو كما يدعونها صافي وبدون ألقاب لأول مرة تتدخل فيما يخص ميرا، سألتها باهتمامٍ بعد أن رأتها تجلس شاردة في «**الصالون**» المظلم:

- اتدخل واتطفل عليكي ولا لأ؟
- أيوه طبعًا يا طنط اتفضلي.
- إيه اللي واخد عقلك ومخليكي مش مركزة ومغيرتيش هدومك؟ إيه اللي حصل، حصل حاجة ضايقتك في خطوبة أخت أمل؟ أنا معرفش في كل دا غير إن رهف قالت لي في الموبايل إنك جاية، بصي لو عايزة تتكلمي أنا زي مامتك، مش هاسيبك إلا أما تبقي كويسة، وفي كل الأحوال كله على راحتك، لو عايزاني أسيبك واقوم امشي حالًا وماكلمكيش في حاجة هاقوم.

نظرت لها ميرا صامتةً لثوانٍ، ثم ردت:

- شكرًا يا طنط ربنا يخليكي ما تقلقيش.
- على راحتك، أنا قايمة أنام شوية.

نهضت ثم استطردت قبل أن تغادر:

- بلاش طنط دي، اسمي صافي.

سارت صافي بعض الخطوات الهادئة، ثم التفتت بعد أن سمعت ميرا تناديها:

- صافي.
- نعم.
- أتكلم معاكي شوية؟!
- عنيا، وآدي قعدة، تعالي الأول نعمل حاجة نشربها واحنا بنتكلم.
- يللا.

قالتها ميرا مبتسمةً بسمة هادئة، سارتا إلى المطبخ، ثم بدأتا الحديث:

- مش هاتكلم في موضوع بعينه على قد ما هاتكلم عن اللي تاعبني بشكل عام، إنتي عارفة إن أنا حياتي كلها كانت وما زالت مع بابا، بابا الشخص اللي حياته عبارة عن شركاته وحفلاته والنوادي وأصحابه وكدا، يعني مفيش أم، ماخدتش حنية غير منه، وطبعًا مش كفاية لأن في حاجات بنعوز الأم فيها أكتر من أي حد ومالقتهاش، اتربيت برا مصر وطول الوقت عندي الحنين لهنا، بقى عندي لخبطة جامدة.. أبويا مصري ولهجته إسكندرانية وإلى حدٍ ما بدأت تختفي، اللخبطة في الثقافة خلتني مش عارفة ارتبط بثقافة أبويا ولا اللي بتعلمها في المدارس هناك، قررت اتمسك بثقافة بابا واتعلمت كتير عن البلد دي، وعلشان كدا قررت أنزل واعرفها أكتر، بس المهم يعني إن كل أصحابي هناك زي ما بيقولوا هنا زمايل دراسة وبس، مفيش الصاحب اللي هو يخاف عليا ويبقى جنبي، دا

غير إن كلهم أجانب زي ما تقولي كدا بمشاعر باردة، باردة أوي، من ٣ سنين بس عرفت رهف وبرغم المسافات اللي بيني وبينها بقت حاجة مهمة في حياتي، نزلت مصر أهوه، نازلة متفائلة وهقابل ناس جديدة وهقرب أكتر من الثقافة اللي حبيتها، نزلت ومش هلف وادور عليكي؛ حبيت رامز الله يرحمه وعرفت إن رهف بتحبه من زمان، خفت يحصل بيني وبين أقرب واحدة ليا مشاكل بسبب حبنا احنا الاثنين لرامز، ملحقتش حبي لرامز يكمل ولا لحقت أفكر في علاقتي برهف، ربنا خد مننا احنا الاتنين رامز.

تساقطت بعض القطرات من عيني ميرا، ثم التقطت تنهيدة سريعة هادئة، ردت صافي لتمتص حزنها وتهدئها قليلًا:

ـ تعالي نقعد في الأوضة وتكملي كلام.

مضتا إلى الغرفةِ بعدما أمسكت كل منهما الكوب الخاص بها، استطردت:

ـ لو كان خيرًا لبقى.

ـ قصدك إيه؟

ـ يعني أي حاجة بعدت عنك ربنا رايد لك الخير من بُعدها، واوعي تزعلي بسببها.

ـ إنتي فاهمة يعني إيه الإنسان الوحيد اللي بدأت ألاقي معاه الحاجات اللي افتقدتها طول عمري يروح مني بعد كام يوم؟! فاهمة يعني إيه اللي بقيت قوية بيه اختفى؟

قالتها بعد أن ضمتها صافي إلى صدرها لعلها تعطيها بعضًا من حنان الأم الذي افقتدته، أكملت متنهدة وقد تملَّك منها البكاء:

ـ أنا ضعيفة من غيره جدًا.

تنهدت وهي بين أضلع صافي، وزفرت بصوتٍ خافت:

ـ Este es el dolor de la perdida..

انتبهت صافي لتلك الكلمات المغايرة التي لم تفهمها مطلقًا؛ فسألت ميرا في استنكار:

ـ بتقولي إيه؟

أجابتها موضحةً:

ـ أقصد إن دا وجع الخسارة، فقدان رامز اللي ماكنتش متوقعاه بعد فقدان أمي، أو بمعنى أصح افتقادي وفقداني ليها.

نهضت من حضن صافي منتفضةً، وأكملت في لهفةٍ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة الاشتياق ووجع مرارة الفراق:

ـ أما... أما قال لي بحبك أول مرة ماقالهاش زي أي حد، علشان هو مش زي أي حد، عارفة قال لي إيه؟ قال خطفتيني يا ميرا، خطفته من الدنيا كلها.

استطردت وقد اختفت الابتسامة من على شفتيها:

ـ ماكنتش أعرف ولا حاسة إنه ها يتخطف مني، سابني في محنة كبيرة أوي، سابني متعلقة بين كذا نار، ليه يا رامز كدا؟

سكتت لحظات، ثم نظرت إلى صافي والتي غلب عليها البكاء أيضًا، ثم قالت بعد مسح دمعاتها التي كانت أشبه باللؤلؤ:

- طوِّلت عليكي وخليتك تعيَّطي برغم إني بردو ماطلعتش كل اللي جوايا.
- كملي كلام، كملي لسه بدري على ما رهف تيجي وما تقلقيش أنا سمعاكي كويس ومش متضايقة خالص، إنتي زي رهف بالظبط والله، كملي يا حبيبتي.

قالت صافي تلك الكلمات وهي تُربت على كف ميرا، أكملت ميرا حديثها فاتحةً قلبها لصافي التي أصبحت تشعر أنها أختها الكبرى، ترددت ميرا قبل أن تفتح لها قلبها، لكنها وجدت في عينيها احتواء لم ترَه في عين أحدٍ من قبل:

- عارفة إحساس إنك بتدوري على خرم إبرة تفرحي منه والقدر ياخده منك في لحظات؟ إحساس إن مش جسمك اللي بيوجعك، دي روحك اللي موجوعة وبتنزف، مجهدة ومش عارفة ولا قادرة تكمل، بس لازم تكمل، ولو مكملتش ها تتوجع أكتر، أنا أما بدأت وقررت إني مش هاستسلم وهقاوم وهقوم.. كل حقيقة بقابلها بتكسَّر فيَّا أكتر من اللي قبلها، وبتكشف لي خيوط؛ منها اللي بيضللني، ومنها اللي بيخليني عايزة أكمل، ومنها اللي بيهزني من جوا، والأهم بقى اللي بيصدمني في أقرب حد ليا، فاتمنى في كل لحظة إن ساعاتي في الدنيا تقل علشان أروح لرامز، فاهمة أو حاسه؟
- خلينا متفقين إن محدش بيحس بالوجع زي صاحبه، بس فاهمة كل كلمة ومتخيلة، أتكلم ولا هتقولي حاجة كمان؟
- لا اتكلمي، كفاية أنا تعبت.. تعبت من كل حاجة.

- عارفة ربنا قال إيه لسيدنا يوسف؟
- قال إيه؟
- بسم الله الرحمن الرحيم «**انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**» صدق الله العظيم، إخوات سيدنا يوسف استغربوا اما لقوه تاني، فسألوه إنت يوسف؟ قال لهم آه وربنا جمع بينا، وبعدين ربنا كمل الآية بـ «**انه من يتق ويصبر**» يعني اللي بيبعد عن المصايب والأعمال الشهوانية والمعاصي.. والشرط التاني يكون صبور؛ صبور لأقصى الحدود، ويسعى وما يهلكش ولا يتعب من أولها، «**فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**»؛ ربك هيكرمه، ها يكرمه بحاجة كبيرة أوي وحلوة أوي، حاجة هتمحي الوجع دا، اصبري واضغطي على نفسك، لعله خير وجايز ربنا جايبك الدنيا دي علشان السبب دا، جايز مش ها ينفع حد يعمله غيرك، وجايز كتير أوي ما يعرفوش إلا اللي ليه حِكمه في كدا، ها تصبري وهاتنولي علشان انتي بـ ١٠٠ راجل وقدها، ولا إيه؟

سكتت صافي وتمعنت في عيني ميرا لدقائق، أجابتها بسعادةٍ بالغة بدت على ملامحها الهادئة الحادة:

- معاكي حق، أنا هصبر وهستنى وهعمل اللي ربنا ها يقدرني عليه.

قبَّلت صافي وجنتي ميرا قائلةً:

- ربنا معاكي يا بنتي ويوفقك.
- يا رب يا ماما يا رب.

نظرت أعينهم لبعض في دهشة؛ فلأول مرة تنطق ميرا تلك الكلمة لشخصٍ غير والدتها التي يُعتبر لم ترَها، سالت دمعات ميرا افتقادًا لأمها، ردت صافي بنظرةٍ عطوفة ونبرةِ حنان:

ـ يا رب يا قلب ماما، قوليها على طول يا ميرا لو مش ها تتضايقي، قولي يا ماما.

احتضنتها صافي فأجابتها:

ـ حاضر يا ماما.

سمعت ميرا بكاءً خافتًا؛ فالتفتت بعد صمتٍ دام لثوانٍ:

ـ رهف، إنتي هنا من إمتى؟

ـ بقالي شوية.

مسحت رهف دموعها فصاحت أمها بها هي وميرا ضاحكةً:

ـ إنتوا هاتقضوها نكد وعياط وتعيطوني معاكوا؟ يللا قوموا وسيبوني أشوف التليفزيون شوية مش فاضية لكم!

ردت ميرا مسرعةً:

ـ حاضر، يللا يا رهف عايزاكي.

دفعتها للأمام ضاغطةً على ظهرها في تودد، وذهبتا للغرفةِ فسألتها رهف متلهفةً:

ـ مشيتي ليه بسرعة كدا؟ وإيه الحاجة المهمة دي؟ والأهم بقى إيه اللي خلاكي اترعشتي واتلخبطتي وتوهتي مرة واحدة أما شفتي خطيب أمل؟ دا انتي كنتي مش طايقاه وهاين عليكي تقلبي عليه الترابيزه وتجري، في إيه؟

- هاحكي لك، بس اوعديني إنك ما تزعليش مني علشان خبيت عليكي اللي ها تسمعيه.
- أوعدك مش هزعل.
- الموبايل اللي لقيناه في خزنة رامز، أنا فتحته وعرفت اللي فيه.
- طب عرفتي إيه؟
- الكلام مش ها يفيد، هاجيبهولك تشوفي بنفسك.

أحضرت ميرا الهاتف، ثم قامت بتشغيل مقطع الفيديو لتراه رهف، دقائق مرت وانتهى الفيديو.. تسائلت في صدمةٍ:

- دا... سائر؟!
- أيوه.
- ودا اللي معاه يبقى فريد الخولي صح؟

نظرت ميرا للأرض حزنًا وأجابت:

- بابا.
- أنا فهمت الحوار اللي بينهم، بس دا إيه علاقته بقتل رامز، دي كارثة لوحدها يا ميرا، كارثة وعايزة دماغ تانية تفكر فيها.

تجاهلت ميرا ما قالته رهف، واستكملت حديثها:

- فاكرة البوكس الصغير اللي جه لرامز على البيت؟
- آه اللي كان فيه قطن بس.
- وميموري.. كان فيه ميموري، عبارة عن كارثة تالتة بكل معنى الكلمة.
- فيديو بردو؟

- لا ريكورد.. ريكوردات ماسمعتش منهم غير واحد.. وهتجنن واعرف مين اللي باعتهم لرامز، أكيد نفس الشخص هايقدر يساعدنا.
- سمَّعيني.

سمعت عشرين دقيقة أخرى من الصدمة، لم تعطِ لميرا تعليقًا على ما سمعته فهي تعلم جيدًا ما بميرا من ألم، سألتها سؤالًا في اتجاهٍ آخر من الحديث:

- شكلك تعرفي كمان سائر من قبل كل دا، تعرفيه ازاي؟
- اتعرفت عليه في حفلة عند صاحبتي هناك، وطبعًا بابا تعمد يجيبه البيت علشان أتعرف عليه من قبل كدا، طب هو ماتوقعش إني ممكن أحب سائر؟ هو بيرميني في النار كدا عادي؟ وسائر كمان بياخد مقابل إنه بيقول لأبويا أخباري، دا كِدِب عليا وما قالش إنه خاطب، ولا قال إنه يعرف رامز، كِدب كتير وعينه في عيني، كِدب وكان بيرسم عليا الاهتمام علشان يوقعني في حبه.
- وأمل، همَّها أكبر بكتير، بعد كل اللي حصل وبيحصل معاها خطيبها بيتاجر في الآثار، دا مش خطيبها بس؛ دي بتموت فيه، ها تعمل إيه لو عرفت؟ إنتي ما فتحتيش الريكورد التاني ليه؟ افتحيه يمكن فيه خيط أو دليل أو حاجة تساعدنا في موضوع رامز..
- مكنتش قادرة اسمع أكتر يومها وبعدها نسيت، بس هفتحه أهوه.

ضغطت ميرا على زر التشغيل وهي تعلم أنها ستتلقى صدمةً أخرى، ستتلقى ما سيؤلمها أكثر، ستسمع ما سيشتت تفكيرها أكثر.

كان المتحدث يتحدث بالإنجليزية الأمريكية، يبدو أنه من سكان الولايات أو المكسيك أو غيرهما أو ربما تلك اللغة مكتسبة، ليس هذا ما يهم، ما أثار عقلها هو صوت المتحدث، لم يكن رجلًا؛ كانت امرأة.. أمعنت في الصوت جيدًا، بات مألوفًا بالنسبةٍ لها.. نظرت رهف إلى ميرا متسائلة:

- إنتي فاهمة؟
- قصدك اللغة؟
- أيوه، واضح إنها انجليزي، لو فاهمة ترجمي لي يعني علشان أفهم.
- استني ثواني.

تفحصت الصوت مرةً أخرى؛ فهو ما لفت انتباهها أكثر من مضمون التسجيل.

صاحت ميرا بأعلى نبرةٍ لديها في دهشةٍ:

- دي روز.
- روز مين؟
- روز صاحبتي هناك في المكسيك، هي اللي بسببها سائر اقتحم حياتي بعد ما اتعرف عليا في حفلتها، مش معقول اللي بيحصل دا!
- طب ما تفهميني هي بتقول إيه؟

- روز بتقول أول حاجة: «**أنا آسفة يا ميرا علشان خبيت عليكي كل دا، بس بحكم سرية اتفاقي مع رامز ماكانش ينفع تعرفي، أنا عملت اللي كنت مستحيل أعمله علشان بس أساعد رامز، من فترة أنا عملت دور عشيقة لسائر ولسه مستمرة فيه؛ علشان أفضل معاه واعرف أوصل لأدق تفاصيل حياته، والأهم عشان كل مرة يروح فيها لفريد أحط له الكاميرا وأحيانا المسجل في هدومه**»

سكتت ميرا للحظات في صدمةٍ وعدم استيعاب:

- إيه يا بنتي كملي، كملي هي بتقول إيه تاني.

قالتها رهف متعجبةً.

توهجت عينا ميرا فأصبحتا كالدم الطازج، اشتعلت بهما شرارة الكراهية والانتقام، لم تفهم رهف ما يحدث أو ما يدور برأسها، أو حتى ما تقوله روز، استطردت رهف مضطربة:

- يا بنتي في إيه؟

أجابت ميرا بلهجةٍ مشوشة:

- سائر.. سائر.
- ماله سائر؟
- هو اللي قتل رامز.
- بتقولي إيه؟
- رامز هدد سائر كتير بالفيديو لذلك قرر يتخلص منه، سائر قتله وهو معايا، قتله وهو جنبي ومفيش دليل واضح على جريمة القتل، روز بتقول إنه قتله بمسدس ميري، يعني زي ما المعمل

الجنائي قال، بتقول إنها مش لاقية أثر هناك لجريمة القتل وأي دليل محدش ها يعرف يوصل له غيرنا، هو أكيد في مصر.

- متأكدة من اللي بتقوليه دا؟ الكلام دا لو صح ها نبقى دخلنا في دوامة أكبر.
- أيوه متأكدة، بس مش عارفة هاعمل إيه، لازم نوصل لدليل من عند سائر من غير ما يحس.

قالتها ميرا بحسمٍ، واستطردت بعد دقائق من التفكير:

- بس خلاصً لقيتها، بس عايزاكي معايا من غير رفض، من غير تراجع، دا حق رامز ولازم يرجع من الحقير دا.
- أنا معاكي حتى لو ها نرمي نفسنا في النار، معاكي.

تحقق كل ما رغبت به سمر، تمت خطبتها من رامي وأصبحت علاقتهما واضحة أمام الجميع؛ أبيها، أمها، أختها وأصدقائها، عادت سمر إلى الدروس فلم يتبقَ شيء تخاف أن يتحدث الناس حوله، بدأت تحاول بقدر الإمكان أن تلتزم بشروط أبيها، فهي حقًا أحبت رامي ولن يطاوعها عقلها أو قلبها على أن تقوم بتصرفٍ يهدد علاقتها به.

مر أكثر من يوم على خطبتهما، رامي كثير الاتصال بها، كثير التواجد بمنزلها، لاحظت انزعاج أبيها من تلك التصرفات؛ فقررت الحديث مع رامي في هذا الموضوع، استغلت صفاء ذهنه في يوم تواجد به في منزلها وقررت مناقشته، فقد كانت على ثقةٍ من تقبله لكلماتها، السماء صافية وقت غروب الشمس، يشربان الشاي في شرفة المنزل، بدأت حديثها قائلةً:

- عايزة أتكلم معاك في موضوع كدا مهم شوية.
- أنا كمان عايز اتكلم معاكي في حاجة أعتقد ماتقلش أهمية عن موضوعِك.
- اتكلم سمعاك.

- عايزك تلبسي الحجاب يا سمر، مش عاجبني الوضع دا.

قالها بنبرة دافئة متوددة لها، فأجابته ببرودٍ شديد:

- نعم! حجاب ازاي؟
- إنتي مش مسلمة؟ مش عارفة إن دا التزام بالدين؟ دا أولًا: فرض عليكي، وثانيًا: أنا كراجل مسلم وانتي خطيبتي وحبيبتي واجبي إني أوجهك، وثالثًا: إنتي مش عارفة إني بغير عليكي وما ينفعش حد يشوف شعرك يا حبيبتي؟
- بس أنا عايزة أعيش الفترة دي وانا واخدة حرِّيتي، مش عايزة قيود.
- وهو الحجاب قيد؟ بقول لك فرض والتزام ربنا فرضه عليكي، يعني المفروض يتلبس مش بمزاجك، بس أنا علشان بحبك بقنعك علشان تلبسيه برضاكي.
- ممكن تقفل الموضوع دا وهابقى أفكر فيه بعدين؟

قالتها سمر بوجهٍ عابس، فرد رامي بنبرةٍ حادة:

- أنا ماشي، ومش هاجي إلا اما ألاقي منك قرار، بس عايز أفهمك حاجة، إنتي كدا مش عاملة لي قيمة، لما حاجة زي كدا من الأساسيات رافضاها أومال بعد كدا وانتي مراتي هاتسمعي كلامي ازاي؟

تحرك رامي إلى آخر نقطةٍ بباب غرفة المعيشة تاركًا الشرفة والقهوة وكذلك سمر، لم تتقبل فكرة أنه سيظل غاضبًا منها لعدة أيام؛ فنادته بصوتٍ خافت:

- رامي.

لم يسمعها أو على الأرجح سمعها ولكنه تعمد التظاهر بعدم سماعها، نادته مرةً أخرى بعد أن أبطأ حركة يده على مقبض الباب، ولكن تلك المرة بصوتٍ ملفت:

- يا رامي.
- نعم.
- أنا هلبس الحجاب زي ما انت عايز، حاضر.

تحرك الاثنان والتقا في منتصف «**الصالون**»، أمسك رامي بكفي يديها مبتسمًا، ثم أجابها:

- كدا تبقي حبيبتي فعلًا، عارف إنك مش ها تقدري تزعليني، بس يا سمر لو مش من قلبك القرار دا قولي لي.

نظرت له برضا وارتياح قائلةً:

- لا يا حبيبي، أنا مبسوطة جدًا طالما إنت مرتاح.
- تعالي نرجع البلكونة تاني وقولي لي بقى إيه الموضوع اللي عايزة تتكلمي فيه.

سارا بعض الخطوات إلى الشرفةِ، ثم عادت إلى حديثها مسرعةً:

- اوعدني الأول إنك ما تزعلش.
- أوعدك، بس قولي لي يللا قلقتيني.

صمتت لحظاتٍ، ثم قالت بنبرةٍ قلقة من رد فعله:

- بابا متضايق جدًا عشان إنت بتبقى هنا وقت كبير، وبتكلمني في التليفون كتير، اوعى تفتكر إنه متضايق من وجودك، لا هو متضايق علشان شايف إني متعطلة عن دراستي، وانت فاهم

طبعًا إنت خطبتني وانا لسه في الثانوية، يعني لازم أركز ومفيش حاجة تشتتني.

- عايزاني مكلمكيش ولا آجي أشوفك يا سمر؟
- لا خالص، إحنا نقلل بس كلامنا، وماتجيش على طول، نتفق على الأقل لحد ما الفترة دي تعدِّى، أنا داخلة على ثانوية عامة مش لعب عيال يا رامي!

نظر إلى السماء ثوانٍ مفكرًا،ً ثم أجابها:

- معاكي حق، لازم أصبر شوية، حاضر أنا هانفذ اللي انتي عايزاه، بس توعديني تطمنيني عليكي أول بأول وكأني معاكي يا سمر.
- إنت مش ها تتضايق يعني؟!
- لا طبعًا مش هاتضايق، اللي تشوفيه في مصلحتك قوليه وها يحصل..
- بحبك يا رامي.

- مين على الباب؟

قالها بعد أن استيقظ من نومه ليلًا غير متوقع أن يأتيه أحد في الثانية عشر بعد منتصف الليل، لم يرد مَن بالباب لكنهَ أيضًا لم يفتح مسرعًا، سأل مرة أخرى عن هوية الطارق لكنه لم يجب، قرر وبدون تردد فتح الباب؛ حتى دون أن يبدل بيجامته الساتان التي تبدو كملابس المنزل الخاصة بالفتيات، نظر متأملًا من بالخارج فلم يصدق ما يحدث، فرك عينيه عدة مرات ولم يجد شيئًا قد تغير، تحدث بكلماتٍ مهزوزة:

ـ إنتي؟! رهف!

نظرت له الفتاة بثقةٍ وهزت رأسها إيجابًا، فأكمل مشيرًا لها بالدخول:

ـ تعالي، ادخلي ما تقفيش على الباب كدا.

ـ حاضر هدخل.

نظر لها بعد أن دخلت المنزل وسارت بعض الخطوات للأمام تتأمل المنزل بعينيها، تأمل ملابسها التي كانت مكشوفة إلى حدٍ ما؛ فكانت ترتدي تنورة كادت أن تصل إلى ركبتيها، تنورة سوداء ضيقة بعض الشيء لكن لا بأس بها بالنسبة لرجل وسيم.. غني.. أعزب! أيضًا فوقها جاكيت قصير بدون أكمام يُفسر تفاصيل جسدها بدقة، عاين جسدها جيدًا بعينيه الزائغتين من أسفل قدميها بعد أن خلعت حذائها ذا الكعب العالي ذاهبًا إلى أعلى رأسها، استدارت قائلةً:

ـ مش هتقفل الباب؟

ـ إيه؟ لا هقفله أهوه.

أغلق سائر الباب وتوجه إليها قائلًا:

ـ بس إيه المناسبة؟ أول مرة تيجي هنا وكمان لوحدك وفي وقت زي دا!

تحسست بسابتها وجهه ببطءٍ قائلةً:

ـ وهو لازم يكون في سبب علشان آجي أقعد معاك؟

نظرت لعينيه المغمضتين من لذة حركة أصابعها، ثم استطردت في جدية:

- مخنوقة وزهقانة، مش عارفة إيه اللي حصل بس إنت أول واحد جيت على بالي؛ فقررت آجي لك ولو متضايق ممكن أمشي حالًا.

قالتها مستعدة للانصراف؛ فأمسك يمينها مجيبًا:

- لا خليكي، أنا بقالي كتير نايم وكنت عايز أنزل، بس خليكي اقعدي معايا.

رفعت عينيها اللتين بدا عليهما الابتسامة لسائر، ثم أجابته:

- كنت عارفة على فكرة.
- يااااه، إيه الثقة دي؟

تجاهلت تلك العبارة، وقالت:

- ادخل اغسل وشك وتعالى.
- ماشي يا حلوة.

مضى سائر إلى غرفته ليغسل وجهه في حمام غرفته، ثم يبدل ثيابه، لم يترك عقله التساؤل عن غرابة ما يحدث، رهف ابنة عم رامز، وصادف كذلك أنها إحدى صديقات خطيبته أمل، رمز الاحتشام والخجل اليوم تقف أمام رجلٍ أعزب في منزله وترتدي ما ترتدي والساعة تخطت الثانية عشر بعد منتصف الليل!

◈

دقات هادئة على باب غرفتها، التفتت بعد أن كانت تُحدق بشاشة هاتفها المحمول وتستمع إلى إحدى مطرباتها المفضلة، إنها الرائعة ماجدة الرومي!

أجابت الطارق:

ـ اتفضل.

فتحت سمر الباب، وتقدمت نحو أختها بعد أن أغلقت الباب مرةً أخرى خلفها، نظرت سمر محركة رأسها يسارًا ويمينًا كمن طُرب بأغنية، قالت سمر مازحة:

ـ إيه الروقان دا، الست ماجدة بتقول إيه علشان مش فاهمة من كلامها حاجة؟

ضحكت أمل وأجابت مسرعةً:

ـ بتقول: «**حبك يا لهفي تضحيةٌ وعطاء من غيرِ حدود**».

ـ يا عيني يا ست ماجدة!

ـ اطلعي يا بت برا بلاش سخافة.

ابتسمت سمر قائلةً:

ـ لا خلاص أنا آسفة، بهزر شوية بس علشان شكلك مش مظبوط كدا.

ـ كنتي عايزة حاجة يعني؟

ـ أيوه عايزاكي في حاجة مهمة جدًا جدًا، أتكلم ولا وقت تاني؟

ـ لا احكي، سامعاكي.

ـ رامي طلب مني ألبس الحجاب.

ـ ورد فعلك كان إيه؟

ـ عارضته جدًا في الأول ورفضت تمامًا، بس أما زعل والموضوع كان ها يكبر وافقت.

ـ وافقتي علشانه ولا علشان مقتنعة؟

- علشان مش هاقدر أزعله مني كدا، وما تقلقيش من جوايا مش رافضة، الفكرة خضتني بس في الأول بس قلّبتها في دماغي ولقيت إن ما فيهاش حاجة يعني وهو بردو معاه حق.
- هو بيحبك فعلًا، لو مش بيحبك مش ها يفكر في جنة ونار وثواب وعقاب.
- يعني مش شايفة إني غلطانة في حاجة؟
- لا مش غلطانة، الأهم إن موافقتك تكون من جواكي ماتكونش علشان رامي بس!

أجابتها سمر مبتسمةً:

- أكيد.

خرجت سمر من الغرفةِ بعد أن أمدتها أختها بالطاقةِ الإيجابية، أمدتها بالطاقة التي لا تمتلك منها شيًئا قط! نعم فأمل استنفذت آخر قطرات الطاقة الخاصه بها، أعادت أمل تشغيل الأغنية بعد أن كانت قد أوقفتها لتتحدث مع أختها، بدأت تُردد كلماتها ببؤسٍ شديد:

«أحتاج إليك.. واهرب منك.. وارحل بعيد من نفسي

في بحر يديك.. أفتش عنك.. فتحرق أمواجك شمسي».

عندما وصلت ماجدة الرومي إلى مقطع الأغنية الثالث كانت ترتفع أمل بصوتها وكأنها تمتلك مشاعرها، توتر صوتها وهي تبكي قائلةً:

"حررني رفقًا.. انصرني.. ساعدني كي أهجر طيفي".

بعد حوالي عشرة دقائق مرت كعشرة أشهر عليها أضاءت هاتفها، فتحت قائمة الأرقام والأسماء، اقتربت بإبهامها من اسمه، ولكن لم تمض ثوانٍ إلا وقد تراجعت عن فكرة الحديث معه، فربما نائم أو مشغول بشيءٍ

ما أو لديه مكالمة هاتفية هامة خاصة بعمله، افترضت أمل تلك الحجج لنفسها بالرغم من ثقتها الشديدة أنه بالمنزل، وعلى الأرجح نائم! لكنها لا ترغب في سماع كلمات التوبيخ الخاصة به التي اعتادت عليها، لكن عشقها له جعلها تتأنى رغمًا عنها وتتقبل التوبيخ والأعذار والحجج، لكنها أصبحت ترغب في التحرر!

ـ أنا هامشي.

قالتها رهف بعد أن قاربت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، أجابها مسرعًا:

ـ يا بنتي لسه بدري، استني نشرب حاجة كمان وبعدين أنا هاوصلك.

سكتت ثوانٍ قليلة وكانت على الأرجح تفكر أتبقى أم تذهب في الحال، لكنها ابتسمت قائلة:

ـ خلاص، هاستنى شوية عشانك بس.

جلست على الكرسي الموضوع أمام المطبخ من الطراز الأمريكي وأخذت تتأمله وهو يتحرك هنا وهناك ليعد شيئًا باردًا أو ساخنًا، سأم من الحيرة فزفر متأففًا:

ـ بقول لك إيه، تشربي ويسكي معايا؟

ـ لا طبعًا، يا عم اعمل لي شاي أو نسكافيه بدل ما انت حيران كدا.

- خلاص هاعمل لك نسكافيه وهشرب أنا ويسكي، مع إني زعلان إن شفايفك الجميلة دي مش ها تدوق الويسكي.

ضحكت بصوتٍ مرتفع، ثم ردت:

- إنت لسه ما شربتش وهتسكر عليا؟
- خلاص أنا غلطان.
- لا إنت ها تزعل ولا إيه؟ المهم يعني كنت عايزة أسألك سؤال مهم، بس عايزة إجابه صريحة، ها!
- موافق، اسألي.
- طالما ما بتحبش أمل مكمل معاها ليه ومعذبها معاك بالشكل دا؟
- أنا كدا فهمت، أمل اللي بعتاكي هنا صح؟
- سوري يعني، بس انت غبي أوي.
- وإيه لازمتها سوري بقى؟!
- مش قصدي، بس هو أمل يوم ما هتفكَّر تختبرك أو توجه لك سؤال زي دا ها تبعت لك صاحبتها، لأ وكمان تبعتها لك البيت وانت لوحدك، شكلك مش فاهم يعني إيه أمل بتحبك ويعني إيه أنا صاحبتها؟!!
- ولما انتي عارفة إني لوحدي وانك في خطر هنا إيه اللي جابك وانتي أساسًا عمرك ما عملتي حاجة زي كدا ولا حتى بسمع سيرتك بكلمة وحشة؟
- عندك قدرة رهيبة إنك تاخدني في سكة تانية وتغيَّر الموضوع، بس لو جاوبتني هجاوبك على سؤالك.

ـ شوفي، أمل عاملة زي أختي.

قاطعته مندهشةً:

ـ يا ابني دي خطيبتك، زي أختك إزاي؟

ـ ما تهدي وانتي تفهمي، مقصدش اللي انتي فاهماه، أنا أقصد إنها عندها القدرة إنها تحتوي مشاكلي والبلاوي اللي بعملها وحتى قسوتي عليها أحيانًا.

قاطعته مرةً أخرى:

ـ قسوتك دايمًا؛ قسوتك كل الوقت مش أحيانًا.

تجاهلها وأكمل وكأنه لم يسمع شيئًا:

ـ برمي عليها كتير، وبالرغم من كدا بتستحمل وفضلت معايا وما بعدتش عني زي ما كتير بعدوا.

ـ بس إنت مش بتحبها، ودا باين في عيونك، يعني مش شايف إن دا عذاب ووجع ليها؟

ـ الموضوع مش فارق بالنسبة لي، ويوم ما ها سيبها عمرها ما هاتقرر مثلًا إنها تاخد حقها وتنتقم مني، لأن زي ما بتقولي هي بتحبني أوي وانا عارف كدا.

قالها متأملًا رهف بنظرةِ غرورٍ وابتسامةٍ بلهاء، نظرت له مصدومة من كَم الغرور الذي يوجد بداخله ولا يعرف أحد عنه شيئًا، أجابته بعد ثوانٍ:

ـ إيه القسوة دي؟

فكر قليلًا قبل أن يجيبها، ثم قال:

- من اللي عملته وشفته في حياتي، ما بقتش أحس أو تقدري تقولي بحاول أستحضر اللا مبالاة، المهم جاوبيني إنتي على سؤالي.
- زي ما قلت لك قبل كدا مخنوقة، عايزة أعمل حاجة غريبة ومجنونة خصوصًا إن ما بقاش فارق معايا حاجة بعد ما رامز مات، بس يوم ما قررت أخرج عن المألوف واتهور جيت لحد من ريحة رامز؛ اللي مش عايز يفارقني.

توتر قليلًا بعد سماع اسم رامز، ولم يتناقش معها في شيءٍ وأغلق الحديث سريعًا قائلًا:

- ربنا يرحمه.

تبدلت نبرتها بعد دقائق من نبرةِ حزنٍ على فراق رامز إلى نبرة التهور والجنون التي أتت إلى هذا المنزل بها، قالت لسائر في عجلةٍ:

- قوم علشان توصلني، الساعة داخلة على ٣ والكلام خدنا.
- حاضر، دقيقتين مش هاتأخر عليكي.

◈

السابعة صباحًا بتوقيت المكسيك؛ الثالثة فجرًا بتوقيت الإسكندرية، استيقظت روز من نومها مبكرًا لتتمكن من ممارسة رياضة الجري قبل ازدحام الشوارع، أعدت فنجان القهوة الخاص بها ونظرت إلى شاشة هاتفها الخلوي فربما تجد مكالمة من أحدهم، وبالفعل وجدت عدة اتصالات ولكنها من مصر، اعتقدت أنه رقم سائر؛ فقررت أن تعيد الاتصال فهي الثالثة فجرًا في مصر ولا بد أنه في إحدى البارات أو مستيقظ يشرب الكثير من الويسكي ويشاهد التلفاز؛ فهو لا ينام إلا عند

ظهور ضوء الشمس، ضغطت على «**إعادة الاتصال**» وانتظرت رنين.. رنين.. رنين.. لا أحد يجيب، رنين مرة أخرى ولكن!

ـ ألو.

صوت نسائي يهاتفها من مصر، إذا إنه ليس سائر، ردت بلغتها العربية المضطربة تلك التي تعلمت القليل منها من ميرا وسائر.. والقليل من رامز!

ـ مين؟

ـ أنا ميرا يا روز، ممكن تسمعيني للآخر من غير ما تقاطعيني علشان مفيش وقت؟

ـ أكيد.

ـ طبعًا إنتي عارفة إني عرفت كل حاجة، والريكورد بتاعك وصلني، لو لسه فعلًا عايزة تساعديني كأنك بتساعدي رامز بالظبط أرجوكي تعالي إسكندرية، بعد بكرة بالكتير تكوني هنا، وها تفهمي كل حاجة أما تيجي، أرجوكي تعالي.

ـ حاضر يا ميرا، حاضر.

ـ شكرًا روز، كنت عارفة إنك مش ها ترفضي.

لم تُكمل ميرا عبارتها وقد سمعت صوت الباب يُفتح فخفضت صوتها قائلةً:

ـ روز آسفة بس هاضطر أقفل بسرعة، سلام.

أغلقت ميرا الهاتف مسرعةً وخرجت لترى رهف، نعم هي تعلم تمام العلم أنها رهف، رأتها ترتدي عباءةً سوداء وحجابًا ملفوفًا بشكلٍ عشوائي، لم تهتم وتظاهرت بالنعاس، تثاءبت ودخلت المرحاض مسرعةً،

ذهبت رهف إلى الغرفة وارتدت ملابس النوم الخاصة بها، واستلقت على الفراش ولم تمضِ ثوانٍ إلا وسافرت في نومٍ عميق.

بعد خمس دقائق خرجت وذهبت إلى غرفة المعيشة، وبهدوءٍ فتحت هاتفها وقامت بمكالمةٍ هاتفية أخرى، كانت الساعة قد قاربت الثالثة والنصف فجرًا بتوقيت مصر؛ السابعة والنصف بتوقيت مكسيكو العاصمة، بدأت حديثها بالهاتف بعد استجابةٍ سريعة:

- وحشتني.
- إنتي كمان وحشتيني أوي، أنا لو وحشتك فعلًا ها تيجي تشوفيني مش ها تطولي كدا بعيد عني.
- ولو أنا وحشتك كنت هاتيجي لي تشوفني وتطمن عليا ومش ها تستنى تقول الجملة دي.
- أنا آسف بس انتي عارفة الشغل يا ميرا.

قالها فريد بنبرةِ نفاقٍ وكذب، ولكنها تعمدت إخفاء ما تعرفه من حقائق عن أبيها، تعمدت إظهار تصديق كلماته الزائفة، سكتت لدقائق لدرجة أن والدها اعتقد أنها أغلقت الخط:

- رحتي فين؟
- معاك، المهم عايزة أقول لك حاجة مهمة، أنا يومين بالكتير أوي وهابقى عندك.
- أيوه كدا، تيجي بألف سلامة.
- الله يسلمك، أسيبك دلوقتي علشان الساعة هنا ٤ وانا ما نمتش.
- خلي بالك من نفسك.
- حاضر.

أغلقت ميرا هاتفها بعد مكالمةٍ لا تعلم أكانت تحتاجها أم لا؟ لكنها أدركت أنها كانت تحتاج إلى سماع صوت والدها، وفي نفس الوقت كان صوته كالسكين الحاد؛ يقطع به وهي تنزف ويراها ولا يساعدها أو يداويها، كانت في أشد الحاجة لأن يشعر أبوها بما أصاب صوتها من ألم ونزيفٍ روحي لا يستطيع أحد إخفاءه، لن يستطيع إزاله ذلك الألم منً روحها إلا الموت!

أضاءت التلفاز فوجدته كان مغلقًا على قناة «**روتانا كلاسيك**»، ربما كانت صافي تشاهد فيلمًا كلاسيكيًا ذا مشاعر بريئه لم يلوثها الزمن، وجدت إحدى الحفلات العظيمة للسيدة أم كلثوم، بالتحديد كانت لأغنية «**فات الميعاد**»، توقف ذهنها وقلبها عند مقطعٍ أشعل كيانها؛ فكانت تقول:

«ياما كنت اتمنى اقابلك بابتسامة

أو بنظرة حب أو كلمة ملامة».

أعادت الست ذلك المقطع كعادتها في جميع أغانيها، ثم أكملت:

«بس انا نسيت الابتسام.. زي ما نسيت الآلام..

والزمن بينسي حزن وفرح ياما»

ارتفعت بصوتها تدندن مع أم كلثوم واندمجت بخلايا عقلها وقلبها وكأنها أحد ضيوف ذلك الحفل، مرت دقيقتان ليس إلا وأدركت أنها ليست بمنزلها، بل هي بمنزل عائلة صديقتها ولا بد أنها تزعجهم، فضَّلت أن تكون ضيفة هادئة فقامت بإطفاء التلفاز وخلدت للنوم.

حزن يخيم على قلب أمل؛ فلا تعرف أتظل تصبر على عدم حبه لها أم تطلب منه الانفصال؟ وسمر الصغيرة التي لا تعرف شيئًا في تلك الحياة البائس؛ تعتقد أن خطبتها لرامي هي نهاية الحزن، لكن أمل تشفق عليها فهي لم ترَ وجه الحياة الحقيقي بعد، أيضًا تبدل حال سائر فأصبح لا يعرف من هو؟ وماذا يفعل؟ يُفكر إذا انكشفت جرائمه واتضحت أفعاله ماذا سيكون مصيره؟ كل ما يدركه الآن هو أنه ينتظر قدوم رهف إلى منزله مرةً أخرى؛ لعله يسرق من فتنتها ما يسرقه من كل فتاةٍ في الخفاء، لم يُعجب برهف لكنه تشبث بجمالها، تشبث بتفاصيل جسدها التي تعمدت إظهارها، لكن غير ذلك فلا يعتريه إلا القسوة والأنانية، الأنانية التي جعلته يقوم بالتفريط في القطع الأثرية، وجعلته يتمكن من قتل صديقه الأقرب الذي حاول منعه عن الاستمرار في تلك الأعمال، لكن قسوة قلبه هي من فعلت هذا، هي من جعلته يسلب روح صديقه من حضن حبيبته، نعم فروح رامز كانت تحتضن روح ميرا، بل كانت تلتصق بها، اعتقد أنه أبعد رامز عن ميرا، لكنه لا يعلم أنه في كل يوم وكل ساعةٍ وكل ثانيةٍ تختلط روح كل منهما بالأخرى أكثر فأكثر، أيمكن لقلبٍ كهذا أن يحب، أم يظل في علاقاتٍ شهوانية مستمرة؟ لا بد أن تلين كل حجرةٍ مهما طالت قسوتها، هذا ما حدث له عندما عشق ميرا، يعشقها برغم قسوته، برغم كل شيءٍ يعشقها، منذ أن رآها بمنزل فريد لأول مرة، لا يرغب في الاقتراب منها أكثر، فهو يعرف ما بجسده وقلبه وروحه من بشاعةٍ وذنوب، ولا يريد تلويثها كما لوث نفسه ولوث مَن حوله، والآن نفس الحيرة التي اعترت سائر تملكت من ميرا؛ رغبتها في الانتقام من سائر ونار ما فعله والدها، أتنتقم من كلاهما؟ أم تنتقم من سائر وتكتفي بمواجهة أبيها؟ كل ما تعرفه

أنها لن تترك من سلب رامز حياته، وستأخذه بيدها، لن تتركه للشرطة أو ما شابه؛ فلن يعطونه العقوبة التي تُهدئ نارها.

يوم وبضع ساعات ليس أكثر مرا في هدوءٍ تام على الجميع، لكن اليوم لا بد أنه لن يمر كباقي الأيام، على الأقل بالنسبةِ لسائر، رقم يهاتفه في هذا اليوم والساعة قد قاربت على الخامسة، والشمس شرعت في الغروب، أجاب:

- رهف، كنت مستني المكالمة دي.
- عرفت ازاي إنها أنا من غير ما اتكلم؟ مش يمكن أمل وساعتها كنت ها تتورط؟
- لأ أنا عارف إنها إنتي.
- عايزة كدا أقول لك حاجة.
- ها تيجي النهاردة؟!
- أنا هاصدق إنك مخاوي، عرفت دي كمان ازاي؟
- البنات دول بالنسبة لي حاجة بتنفسها، عارف كل اللي بيفكروا فيه حتى من نبرات صوتهم وتصرفاتهم، زي ما بتقولوا كدا مقطع السمكة وديلها.

سكتت رهف لحظات، ثم استطردت:

- تحب نخرج ولَّا نقعد في البيت؟
- لا نخرج إيه؟ تعالي نقعد ولو زهقنا نخرج.
- موافقة.
- طب جاية إمتى؟
- ساعة بالكتير واكون عندك، خلينا نقعد براحتنا.

قالتها بنبرةٍ هادئة تنم على ما تنوي فعله تلك الليلة، أجابها سائر:

- مستنيكي.

مرت ساعة من الاستعداد لتلك الليلة التي أرادها ليخرج من التوتر الذي لا يفارقه، فلا يخلصه من التوتر سوى الفتيات؛ أجسادهن وشعورهن يسحرانه ويخلِّصانه من الطاقة السلبية بعقله وجسده، ارتدى بيجامة ذات ملمس لين وناعم، وضع القليل من العطر، ثم الكثير والكثير ليغمره بأكمله، أعاد توزيع الأزهار على طاولة المطبخ، ثم قام بتشغيل إحدى مقطوعات الموسيقى الشهيرة لـ (**الأخوين رحباني**) ألا وهي: «**حبيتك بالصيف**»، القادمة بالطريق رهف ومع ذلك يستمع إلى الموسيقى المفضلة لدى ميرا، يا له من أبله!

وصلت وهي في قمة جمالها، فتح لها الباب فدخلت دون مقدمات؛ ليس فقط باب منزله.. بل باب حياته وعلاقاته الشخصية، أتت له في ذلك الوقت الذي يتغلغل فيه الكبت في خلايا الإنسان، يرغب في الحديث، في إخراج ما بداخله من أوجاع محفورة، دخلت المنزل دون أيةِ كلمات وبدا على وجهها الحزن، لكن ومع ذلك لم يخفِ الحزن تلك الرقة والبساطة التي توجد في ملامحها، والتي تختلف عن ملامح الأجنبيات اللاتي يعاشرهن من حينٍ لآخر.

- مالك؟ مش كنتي كويسة من شوية في الموبايل؟

قالها سائر متسائلًا عما يرى من ملامح ضيق، أجابته رهف ضاحكةً:

- عامل بقى بتفهمها وهي طايرة وخبير بنات، أنا بهزر على فكرة ومفيش حاجة مضايقاني!

ـ يا سلام!

وضعت قدمها اليمنى فوق اليسرى ورفعت حاجبها قائلةً:

ـ زي ما انت شايف، زي الفل أهوه.

نظر لها مبتسمًا، ثم جلس بجوارها فاستطردت:

ـ أكلت؟

ـ لأ.

ـ ولا أنا، طب جعان؟

ـ أيوه، جدًا.

همهمت رهف لثوانٍ، ثم أكملت:

ـ طب نطلب أكل؟

قاطعها سائر بحماسٍ:

ـ بتعرفي تطبخي؟

ـ أيوه، بس ليه؟

لم يجِبها بل اكتفى بجذبها من ذراعها بعنفٍ؛ فأوقفته متسائلةً:

ـ إيه هتوديني على فين؟ براحة شوية.

ـ أنا جعان وانتي جعانة والبيت فيه أكل، وبقالي كتير نفسي في أكل بيتي، ها تطبخي؟

نظرت له بغضبٍ قائلة:

ـ هو أنا جاية اطبخ؟

ترك ذراعها مشيرًا لها بالذهاب، ثم قال ناظرًا للأرض:

ـ أنا آسف، خلاص نطلب أكل أو مش جعان مش هتفرق.

ضحكت رهف، ثم وضعت يمينها على وجنته برقةٍ ولمعت عينيها، ثم قالت:

ـ لسه مش قادر تفهم إني بهزر معاك؟! يللا شدني تاني علشان اطبخ، هاتساعدني؟

ابتسم قائلًا:

ـ عنيا يا رهف.

ذهبا إلى المطبخ بعد أن بدَّلت ملابسها، ارتدت إحدى تيشرتات سائر دون «**البنطلون**» الخاص به، فقد كان التيشيرت طويلاً، غسلت يديها، ثم بدأت في البحث بالفريزر عن ما ستقوم باستخدامه، وبدأت تردد: «**عانقيني، عانقيني ثم إيه؟!**» التفت لها سائر أثناء قيامه بعمل الشاي قائلًا: «**ثم تبقي.. ثم أبقى.. ثم حلوة عنيكي ليه!**»، تركت رهف ما تحمله وسألت سائر:

ـ بتسمع وسط البلد؟

ـ آه بسمع وبحبهم جدًا.

ـ غريبة يعني.

ـ ليه غريبة؟

ـ واحد عايش برا مصر وكل حياته يا الشغل يا الستات، ها يفضى أو ها يهتم إنه يسمع فِرق جديدة، ها يهتم إنه يسمع أغاني أصلًا؟

ـ مش سبب يخليني ماهتمش أو ماسمعش.

أكملت رهف ما كانت تفعل، وبدأت بتقطيع بعض الخضروات قائلةً: «**يمكن يا سائر**»!

ساعة من الحديث والطبخ والغناء والجدال مرت سريعة، زفرت رهف بعد أن تنفست الصعداء قائلةً:

ـ أنا تعبت.

لف سائر ذراعيه حول خصرها واقترب من أذنها قائلًا:

ـ تعالي ارتاحي شوية.

انسحبت من بين ذراعيه قائلةً بعد أن رفعت صوتها:

ـ هاخد شاور الأول، اشرب سيجارتين لحد ما اطلع.

انطلقت مسرعةً كالعصفور، واتجهت إلى الحمام لتأخذ «**شاور**» قبل عودتها إليه.

ـ سائر قافل موبايله وانا قلقانة عليه أوي.

قالتها أمل لوالدها بعد سؤاله عن سبب غضبها، أجابها بهدوءٍ:

ـ طيب استهدي بالله وان شاء الله هاتلاقيه بخير يا بنتي.

ـ يا رب يا بابا.

ـ بس عيونك مش بتقول إن دا بس السبب اللي مضايقك، في حاجة تانية أكبر، وانتي ما صدقتي لقيتي حاجة تطلعي فيها خنقتك؛ لكن يا رب اطلع غلطان.

نظرت له وبدا على عينيها الدموع، لم تُجب بكلمةٍ واحدة، فأدرك والدها أن ما بداخلها أكبر من أن يُحكى أو يُذكر، ولم يضغط عليها أكثر، واستطرد بهدوءٍ:

ـ قومي صلي يمكن أعصابك تهدا شويه.

يُقال أن ما نشعر به مهما حاولنا إخفاءه يظهر في تصرفاتنا.. ملامحنا.. كلماتنا، وهذا ما تأكدت منه أمل بعد رؤيتها بضع شعيراتٍ بيضاء في فضاء شعرها الأسود، يحاربها الحنين لصديقتها الراحلة، لا فرار من ذلك الحنين، في الحقيقة قد حدث الكثير من التغيير في ملامحها لدرجة أن في بعض الأحيان يقول عليها البعض أنها تشعر بالبرود لمجرد أنهم لم يتفهموا حزنها، كانت تؤمن وتؤمن بأقصى درجات إيمانها بالمقولة: «**أنه بعد كل شعورٍ بالحزن فإن هنالك شيئًا من السعادة يدخل لقلبك ليبدل الحزن بشيءٍ من الفرح، ويغرس جذور الحب والتفاؤل لتنمو من جديد**»، سنوات تؤمن بتلك المقولة لكن السعادة لم تأتِ بعد، وعلى الأرجح أنها لن تأتي!

◈

خرجت رهف بعد عشرين دقيقة، ونادت على سائر لكنه لم يُجبها، نادت مرةً أخرى بعد أن خطت بعض الخطوات تجاه غرفته لكنها لم تسمع صوته أو تراه، استدارت لتذهب وتبحث عنه في المنزل ولكنها شعرت بيدٍ تمسك ذراعها من الخلف وتشدها بقوة، زفرت قائلةً بصوتٍ خافت:

ـ سائر؟

لم يجبها سائر؛ بل اكتفى بدفعها لحضنه بعنفٍ فهمهمت بعد أن أغمضت عينيها:

ـ بتعمل إيه؟ ما ينفعش يا سائر.

أجابها سائر وقد بدا عليه أنه قد فقد استيعابه بما يفعل:

ـ مفيش حاجه اسمها ما ينفعش!

مرت دقيقتان أو أكثر ورهف بين ذراعيه، حملها واتجه إلى فراشه ببطء، أبعد شعراتها المنسدلة على وجهها، بدأ التهام شفتيها بحرارة، تحاول منعه لكنه لا يستجيب لها، قبلاته المتتابعة التي بدأت تهبط من شفتيها إلى رقبتها الوردية نزولًا إلى صدرها جعلتها تستسلم وتوقفت عن منعه، فجأة أبعد شفتيه عنها، ترك يديه دون حركة، لم يعُد بجسده للخلف بل سقط بوجهه عليها.

حتمًا سائر مضى في سُباتٍ عميق، سحبت رهف شهيقًا شاكرة لله أنه نام مبكرًا قبل أن يستمر في تلك الأفعال القذرة، حتمًا إنه مُنوم جيد، فقد وضعته في الكوب الخاص به وهما في المطبخ، أبعدته عنها، ووضعت رأسه على الوسادة، ونهضت بهدوءٍ من جواره وبدأت مهمتها الأصلية التي تعرفت على سائر وتنازلت عن مبادئها من أجلها!

دخلت المطبخ مرةً أخرى تبحث بين الأدراج وخلف الرخام، حرَّكت الثلاجة وبحثت خلفها ولم تجد شيئًا في المطبخ؛ فخرجت إلى الصالون، أزالت اللوحات وحركت الكراسي وكل ما رأته أمامها لكنها أيضًا تفشل في إيجاد ما تبحث عنه، وفعلت ما قامت به في المطبخ بكل الغرف لكن لا شيء، ساعةٌ من البحث المتواصل إلى أن آلمها ذراعها، تبقى غرفة واحدة؛ غرفة سائر، لكنها لا ترغب في الذهاب إليها، لا ترغب في رؤية وجهه برغم نومه العميق، لكنها تشجعت وتقدمت إلى الغرفة، بحثت بين ملابسه وخلف اللوحات وتحت السرير.. تحت الكرسي.. وبين الأدراج ولم تجد شيئًا، أتيأس؟ لابد أنها طلة اليأس، زفرت رهف ضاربة بيدها على المرآة في غضب.. ولكن!

صوت شيء حديدي يسقط خلف المرآة، نظرت رهف لكنها لم ترَ شيئًا فخلف المرآة عتمة قوية، أحضرت مصباح هاتفها مسرعةً وأضاءته، ثم نظرت جيدًا تتفحص ذلك الشيء، نعم هو! هو ما تبحث عنه منذ فترة، هو ما فتحت لنفسها باب الشجاعة ووصلت لغرفة وسرير سائر من أجله!

إنه المسدس الميري، المسدس الذي اخترقت رصاصاته جسد رامز.

- هانروح الشارع دا، وها تنزلي من العربية وتطلعي البيت زي ما قلت لك يا روز.
- أوك ميرا.

دار هذا الحوار المختصر بين روز وميرا، تحركتا متوجهتين إلى ذلك الشارع، ثم توقفتا ببطءٍ أمام إحدى المنازل في ذلك الشارع، انتنظرت دقائق، ثم قالت روز بعربيتها الضعيفه:

- أنزل؟

بالطبع روز كان حديثها محدودًا؛ فقد كانت لا تتقن العربية، أجابتها ميرا بوجهٍ قلق:

- لأ، استني لما رهف تكلمني.

دقيقتان.. خمس.. ربع ساعة.. عشرون دقيقة.. لم تتصل رهف بعد، أيعقل أن يكون سائر استيقظ من نومه ورآها تحمل المسدس؟ فالمنوم أقوى من أن يجعله يستيقظ مبكرًا، سائر لم يستيقظ بعد، بعد نصف ساعة من الانتظار رن الهاتف، نظرت ميرا فوجدتها رهف، نعم رهف تُخبرها أن تصعد لتأخذ منها السلاح، نزلت روز من السيارة وتوجهت إلى باب المنزل، وبعد صعودها درجات السلم فتحت لها رهف بهدوءٍ حتى

لا يشعر بما يجري، أعطتها السلاح بعد أن غلفته بتيشيرت سائر التي كانت ترتديه؛ ففي تلك الفترة كانت تُبدل ثيابها حتى إذا استيقظ يجدها قد استعدت للرحيل، بعد أن أعطتها المسدس ذهبت مسرعةً إلى الحمام لتغسل وجهها، كانت تتصبب عرقًا ودقات قلبها قد ارتفعت خوفًا.

هل يعقل هذا الذي يراه من نافذة غرفته؟ لا.. لا يمكن أن يُخدع.. لا يمكن لفتياتٍ حمقاوات خداعه، ذهب مسرعًا خلف المرآة ليرى أما زال المسدس بمكانه أم اختفى؟ ولكن ظنه كان بمحله؛ لم يجد السلاح، ولم يجد رهف، فقط وجد سيارة بالخارج بها أحدهم لكنه لم يستطع تحديد ملامحه، وفي الناحية الأخرى المقابلة لسُلم منزله فتاة تنزل، لا بل تجري وتحمل بيديها شيئًا، ومن ثم تركب السيارة، لكنه تمكن من تحديد ملامحها.. إنها روز!

روز التي لم تفارق فراشه بالمكسيك الآن هي بمصر.. ولا يعلم لماذا أتت وماذا تفعل؟ لكن ما استطاع استنتاجه من ربط الأحداث أن رهف على علم بقتله لرامز.

إذًا استطاعت خداعه والسيطرة عليه عن طريق شهوته بذكاء، أصابته حالة من الذهول لدقائق حتى سمع صوت خطوات رهف قادمة تجاه الغرفة، دخلت الغرفة فأصابتها رعشة سريعة كمن أمسكت به الكهرباء، سألته خائفة أن يكون قد استيقظ وهي تبحث أو تفتح الباب لروز، سألته وكانت حروفها تهتز كمن قتل قتيلًا:

ـ إنت.. إنت صحيت إمتى؟

تظاهر بجهله بما حدث وكأنه استيقظ توًا، ثم أجابها:

ـ لسه حالًا أهوه.

سحبت شهيقًا طويلًا، ثم زفرت وقالت بغبطةٍ:

ـ كانوا كام ساعة حلوين، بس أنا هامشي بقى علشان الوقت اتأخر أوي.

اقترب منها قليلًا وأمسك بذراعيها لكن تلك المرة كانت مختلفة، أوشك أن يكسر عظامها اللينة حتى صرخت من شدة الألم قائلةً:

ـ بتعمل إيه؟ براحة مش كدا يا سائر إنت اتجننت؟

بالفعل لم يتحكم بأعصابه ولم يتمالك نفسه، أرخى يديه بعد صراخها، ثم قال:

ـ لسه السهرة طويلة.

ـ لا لا طويلة إيه! أنا ماشية.

حملت حقيبتها مسرعة، منعها واقفًا أمامها، سألها متظاهرًا بعدم الفهم:

ـ أنا إيه اللي خلاني نمت كدا وفي وقت زي دا؟

قالت بارتباك:

ـ مش عارفة.. أنا... أنا كمان استغربت.. ممكن تكون مرهق.. هامشي بقى؟

ـ لا تمشي إيه؟ استني عندك.

قالها بعد أن دفعها على السرير بوجهٍ مقتضب، خرج مسرعًا وأغلق الباب بالمفتاح، ثم ألقى المفتاح بغضبٍ في المزهرية، عاد للغرفة فوجدها تجلس في أبعد ركنٍ بالسرير وقد ضمت رجليها إلى صدرها وقيدتهما بذراعيها وتنظر إليه بخوف، اقترب منها وأمسك شعرها بقوةٍ ناظرًا إلى عينيها، أخبرها بنبرةٍ تحذيريه:

- إنتي مش بتلعبي معايا، إنتي بتأذي نفسك ومش مقدرة ولا فاهمة حجم اللي عملتيه.

لم تُجِبه بكلمةٍ، بدأت نوبة من البكاء كالأطفال، لم يتوقف سائر عن الصراخ في وجهها وهي تزداد بكاءً، سألها بقسوةٍ وصوتٍ غليظ:

- المسدس فين يا رهف؟ روز خدته وراحت فين؟ انطقي علشان تنقذي نفسك من تحت إيدي.

أرهبتها لهجته فانتفضت ولم تخبره بشيء، كانت على يقين بسبب جحوده وقسوته أنها إذا ذكرت اسم ميرا سيؤذيها لكنها ظلت صامتة.

رويدًا رويدًا يتلاشى من نفوسنا اليقين في أي شيء، تشعر وكأن جسدها يهوي من قمة جبل، جسدها وعقلها وأفكارها يسقطون تدريجيًا حتى قاربوا من الارتطام بقاع الواقع، ذلك القاع المظلم الذي يتجنبه كل من يعاصر هذا الواقع، يتجنبونه ببعض الأوهام؛ كالتفاؤل والأمل والمثابرة ولكنهم كما ذكرت؛ أوهام!

فمهما طالت مدة الصبر والتأني سيصطدم كل منا بتلك السحابة السوداء، سيبقى بداخلها حتى يفقد بصر قلبه وعينيه، يفقد القدرة على مواجهة الحقيقة ومحاربتها، فتصبح هي الأقوى؛ السحابة السوداء أو كما أدعوها فضلات عبث الواقع.

هذا ما حل بأمل، لم تعد تعرف مَن هي وما الذي يحدث لها؟ ما كان يُسيطر عليها هو خوفها من الوصول إلى الشعور باللا شيء، اللا مبالاة.. فقد تم استنزاف جميع طاقاتها الحيوية، منهكة نفسيًا وجسديًا، اللا مبالاة

مشاعر كامنة داخلها لكنها تهرب من حقيقة وجودها، تعلم أن عشقها لسائر ذنب، لكن من الواضح أنها تعشق المعصية حين تتعلق به.

تبكي ولا تعرف أين دمعاتها.. دموع.. خيبات.. آهات.. انتكاسات.. صرخات.

أصبحت تكره ذاتها حين تشتاق لشخصٍ هي على يقين أنه لن يشتاق إليها، اللعنة على حبها، لم تعد تتحمل رؤيةً مكان جمعها به يوما..

دق والدها على باب غرفتها والساعة قد اقتربت من الثانية عشر منتصف الليل ليطمئن عليها؛ لكنها لم تُجب كعادتها، دق مرةً أخرى بصوتٍ أعلى لعلها نائمة، لكنها لم ترد أيضًا، شعر بالاضطراب ففتح الباب بدون تردد، صرخ صرخةً قوية فزعًا مما رأى؛ استيقظ على إثرها كل من بالمنزل، أمل غائبة عن الوعي، جسدها مفرود أرضًا وبيمينها زجاجة صغيرة من الواضح أنها مهدئ أو مُنوم!

إذًا إنها تعيد مأساة صديقتها مريم!

أتت أمها وأختها مسرعتين وقد انهارتا من البكاء، أمسك والدها بالهاتف مسرعًا ثم اتصل بالإسعاف، لم يمر عشرون دقيقة وكانت سيارة الإسعاف قد أتت، حملوا الفتاة وانطلقوا إلى إحدى مستشفيات المعمورة.

خرج الطبيب مقتضب الوجه، ثم قال لوالدها:

- حضرتك والدها؟
- أيوه أنا أبوها، بنتي كويسة؟ طمني يا دكتور.
- بنتك الحمد لله بخير، إحنا عملنا لها غسيل معدة وعدت الخطر.

أخذت والدتها شهيقًا طويلًا معلنة الاطمئنان، اصطحب الطبيب والد أمل إلى مكتبه ثم أشار له بالجلوس، أخذ نفسًا طويلًا قبل أن يبدأ حديثه، لكن ذلك التمهيد لم يفعل سوى زيادة القلق بقلب والد أمل، بدأ الأستاذ صبري حديثه بنبرةٍ توتر:

- خير يا دكتور قلقتني على أمل.
- الحقيقة إن الموضوع مش قليل، مش حاجة عابرة كدا وهتعدي..
- تقصد إيه يا دكتور؟!
- استجابتها بطيئة جدًا وواضح إن العامل نفسي.

طأطأ الأستاذ صبري رأسه حزنًا مما فعلته ابنته مجيبًا:

- طبعًا يا دكتور، أومال حاولت تنتحر ليه.
- مش قصدي خالص، أنا أقصد إنها ها تحاول تعملها تاني وتالت وعاشر لو المشكلة اللي عندها ماتحلتش، ولو ها تعمل بنصيحتي، لازم تتابع مع دكتور نفسي، لحقتها مرة وربنا ستر، الله أعلم المرة الجاية ها تبقى شكلها إيه.

◈

كانت ميرا قد أعدت حقيبتها مسبقًا استعدادًا للرحيل، ستذهب إلى حيث وُلدت ونشأت، ستذهب إلى حيث خُدعت، ستذهب إلى حيث والدها!

بين المعمورة ومطار «**برج العرب**» بالإسكندرية حوالي ٧٠ كيلو متر، أي من ساعة وربع إلى ساعة ونصف، حصلت ميرا على تلك المعلومات

عن طريق «**Google Maps**»، ميعاد طائرتها كان في الرابعة فجرًا، بعد استحواذها على المسدس لم تفكر بأي شيءٍ سوى بكيفية إخفائه إلى أن تعود.. تبقَّى سويعات قليلة على طائرتها، قامت بتوصيل روز إلى الفندق حيث تمكث، وانطلقت إلى ذلك المنزل الذي قد احتفظت بمفاتيحه لحين احتياجها للذهاب هناك؛ إنه منزل رامز، ذهبت لتُخبئ المسدس مسرعةً قبل ذهابها إلى المطار.. نعم كانت قد ودعت رهف مسبقًا، لكن لم يكن بحسبانها أن يحتجز سائر صديقتها رهف، بل كانت تعلم أنها ستبقى عنده لتلك الليلة فقط ثم تغادر في الصباح مسرعة، خبأت المسدس، ثم انطلقت إلى المطار، لكن بعد حديثٍ مع والدة رهف استمر لمدة نصف ساعة بأكملها!

تذكرت ذلك الحديث بعدما استقرت بمقعدها بالطائرة، نعم كانت تحتاج لكلمات صافي، كانت تحتاج للكثير من الطاقة التي تبثها في أوردتها، فبعد أن ودعت المنزل واستنشقت أنفاس رامز التي لا زالت تعبئ المكان؛ ذهبت إلى منزل رهف لتأخذ حقيبة سفرها، رأتها والدة رهف في الواحدة والنصف، لا لم تكن صدفة فصافي انتظرت قدومها لكي تودعها، نظرت لها نظرةً يشوبها الحزن والدمع، تفوهت باسمها معلنةً طلبها للحديث مع ميرا:

ـ ميرا، تعالي يا حبيبتي.

تقدمت واتجهت يدها إلى مفتاح الإضاءة؛ فالصالة كانت معتمة تمامًا، جلست بجوارها قائلةً في شجنٍ:

ـ ها توحشيني يا صافي، بس أنا مش هتأخر عليكي.

ـ عارفة إنك مستحيل ما ترجعيش.

صمتت، ثم استطردت بقوةٍ بعد أن كبحت دمعات عينيها التي أوشكت على السقوط:

- أنا حاسة باللي انتي فيه، مش هكدب عليكي واقول لك مريت أو لأ، كل اللي أقدر أقولهولك بالظبط إن اللي فيكي في بنتي، ومحدش ها يحس ببنتي أكتر مني، رهف بقالها يومين مش كويسة، جواها حاجة أكبر من موت رامز وأكبر من صدمات كتير قابلتها، أنا متأكدة إن الحاجة دي ليها علاقة باختفاءها الزايد دا، وانا عايزة اطمن على بنتي، وإلا هاضطر أبلغ البوليس.
- رهف ها ترجع بالسلامة يا صافي، وأرجوكي ماتحاوليش تدخَّلي طرف تالت، أرجوكي ما تتهوريش.
- بقالها أكتر من يوم بره من غير مكالمة واحدة، وانتي بتقولي ما تتهوريش؟ دي بنتي، بنتي يا ميرا، ولو انتي وهي عايزين حق رامز فأنا مش مستعدة أضحي بواحدة فيكم!

تأملت ميرا كلماتها الحنونة المشوبة بحِدَّةٍ وقلقٍ مُتسائلة بداخلها عن سبب عدم رغبة صافي في التضحية بها هي الأخرى، خوف صافي غير مقتصرٍ في تلك اللحظةِ على رهف فقط، وإنما على ميرا أيضًا، لم تشعر بتلك الأحاسيس من قبل، دفء الأم، وعشقها الذي يبدو في عينيها ولمساتها وكلماتها، لم يصلها ذاك الشعور إلا في كلمات صافي، أجابتها ميرا مُحاولة تهدئة نار قلبها:

- لو ما رِجعتش خلال اليومين الجايين اعملي اللي يريحك لكن أرجوكي اصبري.

سالت دمعاتها مُتأمِلةً عيني ميرا في صمتٍ استمر لدقائق، ثم أجابتها:

- تيجي بالسلامة يا ميرا.

6

مر يومان؛ يومان من الاستجواب؛ يومان من الصمت؛ يومان من الوحدةِ والقلق، فكان دائم الاستجواب، يسألها بكل الطرق الممكنة ليحصل منها على معلومة، لكن الصمت أصاب رهف، أصاب لسانها وأوتار صوتها، لن تخبره بأن من وراء كل هذا ميرا؛ فهي شريكتها وقررت تحمل عواقب كشفه لها، يومان من الوحدة التي اعترت صافي قلقًا على ابنتها، ابنتها لم تعد.

يومان متغيبة ولم تعد بعد، لكنها تحلت بالصبر الكافي لتنتظر وتشاهد ماذا سيحدث؟ تقدم سائر بعض الخطوات والتي كان من الواضح عدم اتزانها؛ فشعره غير مرتبٍ ومبعثر عشوائيًا، يسيل من ثغره وكأسه قطرات زيتية تنساب طوليًا، حتمًا إنها معشوقته الأولى.. الخمر!

قدماه تلتفان حولٍ بعضهما، يسقط أرضا ومن ثَمَّ يحاول الوقوف والثبات مجددًا ممسكًا بالحائط، ظل على هذا الوضع إلى أن اقترب من قدميها المقيدتين على الأرض، أبعد الملاءة عن ساقيها، واقترب بسبباته ببطءٍ وبدأ يتحسس ساقها اليمنى فاستيقظت مذعورة، نظرت إليه

باضطرابٍ، أنين صدرها كان عاليًا لكنه لم يكن كافيًا ليخمد عاصفته، حقًا كانً عاصفًا كالبحر!

اقترب منها أكثر ونظر بعينها نظرةً غائرة، اتسعت حدقتاه وتبدل لون عينيه فأصبحت شديدية الحُمرة، وبدون مقدماتٍ أمسك عنق قميصها بيدٍ، ثم أمسكه بكلتا يديه، وبأقوى ما لديه مزق القميص إلى نصفين حتى بدا نصف رهف العلوي عاريًا تمامًا، صرخت بقوةٍ فلحق بها كفه على فمها يمنعها من الصراخ إلى أن هدأت، نهض واتجه إلى الدولاب وأحضر إحدى تيشرتاته القديمة، مزَّقه لأكثر من قطعةٍ وقام بطي إحدى القطع عدة طيات ووضعها في فم رهف، بات صوت صراخها بالنسبةِ له قي قمة الإزعاج، لهذا قرر التخلص منه!

حرر قدميها بعد أن قيد ذراعيها للخلف، خلع كنزته السوداء واقترب منها مرةً أخرى، ولكن تلك المرة ألصق صدره العاري بصدرها، هدأت رهف إلى أن استجمعت شجاعتها وركلته بركبتها اليسرى فانشغل بألم بطنه، نهضت مسرعة بعد انسحابها من تحته، أسرعت بخطواتٍ عشوائية صوب الباب، لكن ذراعيها المقيدتين منعاها من فتح الباب، حاولت فتحه بفمها لكنها فشلت بسبب تلك القماشة التي أغلق بها سائر ثغرها، صرخت صرخات مكتومة وبدأت بتكسير كل ما رأته بالصالة بقدميها، استدارت.. يا للهول! سائر مرة أخرى! حاولت الهرب منه بأركان المنزل لكنه أمسك بها وجذبها من ذراعيها إلى فِراشه.. ألقاها بقسوةٍ فارتطمت رأسها بظهر السرير، رأسها تنزف على الوسادة لكنه لم يكترث لهذا الأمر، قيد قدميها مرةً أخرى وأحضر زجاجة النبيذ وجلس بجوارها محيطها بذراعيه، ارتشف من الزجاجة القليل، وبنظرةٍ شهوانية جافة بدأ في صب

النبيذ الزيتي على رقبتها، ومن ثم صدرها العاري إلى أن فرغت الزجاجة بأكملها على جسدها.. ألقى بالزجاجةِ أرضًا فانتشر زجاجها المكسور على الأرض، أمسك شعرها بيمينه بعنفٍ وبدأ تقبيل رقبتها بطريقةٍ جنونية حتى ظهر على رقبتها علامات تورم، تدريجيًا كان يهبط إلى صدرها وصولًا إلى نصفها السفلي.. شيء من العجز أصابها، لا تستطيع الصراخ، لا يمكنها الدفاع عن جسدها، نظرت إلى الأمطار خلف زجاج نافذة الغرفة، لا يعتريها سوى البكاء، فعيناها كانت تهطل أمطارًا أغزر من أمطار سماء تلك الليلة.. تلك الليلة البائسة التي لم تخلُ من الألم!

◈

برغم أنهم في فصل الربيع حيث تلك الألوان الرائعة والأزهار والأشجار والسماء وغيرهم من مظاهر ذلك الفصل إلا أنها كانت ليلة عاصفة، ليس بمصر فقط.. ولكن في مكسيكو أيضًا، النوم لم يحن موعده بعد، عينا ميرا المرهقتان ينتظران قدوم أبيها، نظرت لما خلف الزجاج من أمطارٍ تشبه دموع رهف في تلك اللحظة!

تأخر والدها كثيرًا، لكنها لم ولن تمل من انتظاره، الأهم هو قدومه، الآن قد اتخذت قرارها الذي فصل حيرتها بعدلٍ يُرضي قلبها، تتوهم فقط أنه سيريح قلبها، لكن الحقيقه أنه منذ اليوم الذي ذهبت فيه ضحكات وصوت وملامح ورائحة رامز لن تدخل الراحة قلبها مطلقًا، تسمع صوت الباب، نعم بالطبع هذا أبوها، أغلق الباب خلفه وتقدم بخطواتٍ هادئة، خلع جاكيته الجلدي الأسود ودخل إلى الصالة.. لا بل فناء منزله الرائع، نعم فهي ليست بالصغيرة، كانت أشبه بفناءِ مدرسةٍ واسع أو ملعب كرة قدم صغير!

رأت ميرا بطرف عينيها مقدمة حذائه الأسود اللامع، لم تحاول لفت انتباهه؛ فقد التفت لها بنفسه بعد أن سمعت قدمه تصطدم بالأرض:

- بابا.. اتأخرت كدا ليه؟

قالتها بوجهٍ مقتضب، فأجابها والدها مستنكرًا:

- كان عندي شغل كتير، المهم متضايقة من إيه؟

- ممكن حضرتك تتفرغ لي خالص علشان عايزة أتكلم معاك شوية؟

- أنا مرهق، ما ينفعش الكلام دا يتأجل؟

- لأ هو مش بالتفاهة دي علشان يتأجل، هي حاجة ضروري نتكلم فيها.

جلس فريد مستسلمًا لحديث ابنته الذي من الواضح أنه غاية في الأهمية ولن تقوم بتأجيله، زفر فريد ثم قال:

- خير.

أخذت شهيقَ الاستعداد ثم تركته وذهبت، تركته في حيرةٍ ليس لها بداية أو نهاية، سألها متعجبًا:

- رايحة فين يا ميرا؟

لم تجبه على سؤاله، لكنها عادت بعد لحظاتٍ وأخرجت هاتفها، بدأت تعبث وتُقلب فيه قليلًا إلى أن وصلت إلى هدفها، أعطت والدها الهاتف وأخبرته أن يفتح مقطع الفيديو الذي أمامه، أمسك الهاتف وقام بفتح المقطع قلقًا.

- جبتيه منين وازاي؟

قالها فريد وقد تغير لونه وأصبح كالهارب من أحكام، بدأ يتصبب عرقًا وازدادت كلماته توترًا واهتزازًا، فبدأت ميرا حديثها بقوةٍ:

- إيه إحساسك دلوقتي بعد ما عرفت كل حاجة؟ وان كل العز دا حرام، عرفت إن اللي شغال معاك سائر، سائر اللي انت خليته يقرب مني، سائر اللي خد فلوس مقابل إنه عينه عليا وبيطمنك، سائر كلب الفلوس يا فريد باشا!

ابتسمت له ابتسامة سخريةٍ بعينٍ دامعة، وأكملت:

- أقول لك كمان عرفت إيه ولا كفاية؟

سكتت للحظاتٍ، ثم استطردت:

- عرفت إن إنت اللي ورا قتل رامز، رامز الشخص الوحيد اللي حبيته واخترته، إنت إيه؟ شيطان! مش عايز لي السعادة أبدًا، في الأول بعدت عني أمي، وعودتني ع الوحدة، ومؤخرًا أخدت مني أكتر حد قرب مني ولقيت سنيني وطفولتي معاه.

أكملت بعد تنهيدةٍ بنظرةٍ حادة وحاسمة لما تقول:

- ودلوقتي أخدت مني أبويا كمان يا فريد باشا.
- أنا ما قتلتش رامز، والله ماليش دخل بقتله.

ضحكت ميرا بصوتٍ مرتفع وأجابته:

- إنت بتحلف بربنا! إيه دا هو انت تعرفه أساسًا؟
- يا بنتي ما تظلمينيش.

قاطعته مستنكرةً:

- أظلم مين؟! إنت اللي ظلمت نفسك وظلمتني قبل منك، إزاي تعمل فيا كدا؟ المفروض إنك تحميني وتحافظ عليا وتبقى

جمبي من غير ما أكون مضطرة أقول لك، المفروض لو في حواجز بيني وبينك تدمرها مش تدمرني أنا.

كلما حاول أن يتحدث أسكتته قذائف ابنته، نعم كانت تؤلمه بكل حرفٍ تنطق به، لكنها لم تستطع كبح مشاعرها عن الحديث وإخراج ما بداخلها، أكملت بعد أن بدا عليه مظاهر الضعف وقد ظهر على صوتها الغلظة:

- أنا مش هسكت واخبي اللي عندي علشان اسمك اللي ورا اسمي في شهادة ميلادي، الاسم دا ولا ليه أي أهمية، إنت أناني وعايز نجاحك واسمك وفلوسك؛ فلوسك الحرام، أنانيتك دي هي اللي مسحت أي أهمية ليك في حياتي، أنانيتك ووساخة سائر، أنا ما شفتش تفكير أرخص من كدا.

تجمعت الدموع في عينيهما، استمرت في حديثها المؤلم فيما يقرب من ساعة، أمسك فريد بيد الكرسي محاولًا الحفاظ على توازنه لكنه فشل، سقط أرضًا بدون مقدمات، ارتطمت رأسه بالكرسي فتوالى النزيف، نظرت له بقلبٍ متحجر، لا تعرف ما الذي جعلها لا تأتي مسرعةً وتنقذه؟ لا تعرف ما ذلك الجمود الذي أصابها؟!

أمسكت بالهاتف وببرودٍ شديد هاتفت المستشفى طالبةً سيارة إسعافٍ لتنقل والدها إلى هناك، وصلت سيارة الإسعاف وحملوا والدها إلى السيارةِ ولكنها رفضت الركوب معهم وفضَّلت الانتقال إلى هناك بسيارتها، مضوا إلى المستشفى وذهبت ميرا لتُبدل ثيابها، وضعت القليل من الكُحل لتبرز جمال وقوة عينيها، ثم انطلقت إلى أبيها.

«**كل دا كان ليه؟ لما شفت عنيه**»، ترددت كلمات «**مأمون الشناوي**» التي داعب صوت محمد عبد الوهاب بها أذن وقلب وحواس أمل، وقفت في شرفة غرفتها بالمستشفى في ذلك الرداء الأبيض كالملائكة، شعرها المتطاير بسبب مداعبات الهواء له، ووجهها الذي لا يحمل أية ذرةٍ من ذرات وسائل التجميل، حقًا كانت كالملائكة!

تنهدت تنهيدةً طويلة، ثم التفتت لتجد باقةً رائعة من الزهور قد وضعتها الممرضة على الطاولة البيضاء الصغيرة، اقتربت منها معتقدةً أن مَن أرسلها هو سائر، وحتمًا هو قادم لرؤيتها الآن، استنشقت رائحته الرائعة، فكان من نوع «**التوليب**»، ذلك النوع الذي لطالما عشقته أمل، لكنه لا يعلم بعشقها للتوليب! لا بد أنه سأل أمها أو حتى سمر، لا يهم؛ فالمهم أنه تذكرها، المهم أنه اهتم بما تحب، فهي كالكثير من الفتيات اللواتي يعشقن الأزهار، لكن القليل منهن من يعشق التوليب ويتحلى بصفاته! أمسكت بالجواب الموضوع داخل باقة الأزهار وفتحته في لهفةٍ: «**عرفت من مريم وكلامها الكتير عليكي إنك بتحبي التوليب، كان صعب أجيبه، بس قلت يمكن أكون سبب في فرحتك شوية، اعتبري إن مريم هي اللي بعتاه، سلامتك يا أمل.. أحمد**».

أيتذكرها أحمد ويتذكر ما تحب ولم يفعل خطيبها؟ قاسية جدًا تلك اللحظة التي تبتسم فيها بسخرية على شيءٍ خاب ظنها به، مشكلتها التي أدركتها الآن أنها تنتظر من الناس الأمور التي لن يستطيعوا فعلها، وفي كل نهاية خيبة أمل؛ أدركت أيضًا أن لا شيء أجمل من الصمت عندما تخيب الظنون.

دخل والدها مبتسمًا، ثم احتضنها قائلًا:

- حمد الله على سلامتك يا حبيبتي.

- الله يسلمك يا بابا.

لاحظ والدها فتور إجابتها وبؤس ملامحها فسألها:

- مالك يا بنتي؟

- هو سائر مجاش يا بابا ولا اتصل؟

نظر أبيها إلى الأزهار هاربًا من سؤالها، ثم قال:

- جميل أوي الورد، مين اللي جايبه؟

- أحمد.

- خطيب مريم الله يرحمها؟

- أيوه، وما تهربش من سؤالي، سائر فين؟

- يا بنتي أنا نَفسي معرفش هو فين، لا اتصل ولا حاجة، كلمته علشان أقول له بس موبايله غير متاح طول الوقت، أعمل إيه؟

علم والد أمل أن كلماته قد زادت آلامها فأكمل:

- أنا آسف يا بنتي مقصدش أزعلك، بس ما هو يا اسكت يا أقول لك الحق.

- مش ذنبك، عادي.

- يا أمل سيبيه واخلصي من وجع القلب دا، خليه يشوف حاله وانتي تشوفي حالك يا حبيبتي.

- لأ يا بابا، ماتقولش الكلام دا تاني، دا كل حاجة في حياتي، جايز مشاغله كتير، جايز في صفقة مهمة، مش حاجة زي دي يعني اللي هاتخليني أسيبه.

- كفاية بقى ما تكدبيش على نفسك أكتر، حب إيه اللي يخليكي تدوسي على كرامتك وتصبري كل دا؟ ملعون أبو الحب اللي يعمل فيكي كدا، ما تحطيش نفسك تحت رحمته وترجعي تقولي لي مشاغله وصفقاته ومش عارف إيه! المرة دي حاولتي تنتحري، المرة الجاية إيه اللي ها يحصل يا أمل؟ إنتي بتكابري ليه؟ فوقي يا بنتي فوقي، محدش خايف عليكي ولا قلبه واجعه عليكي قدي.

يتميز عشاق التوليب عن غيرهم بشخصيةٍ ناعمة وحنونة، ذو قدرةٍ رائعة على العطاء بدون انتظار مقابل، تعود قصة التوليب في كندا إلى عام ١٩٤٥ قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية، إذ استقبلت كندا في ذلك الوقت الملكة «**جوليا**» ملكة هولندا التي تركت بلدها إثر اندلاع الحرب، واستقبلها الكنديون في بلادهم بروحٍ رائعة كريمة ومنحوها مساحة من الأرض لتكون أرضًا هولندية حتى تستطيع أن تنجب ولي العهد في أرضٍ هولندية، كما ساهموا أيضًا في تحرير هولندا.

وعِرفانًا منها بجميلهم أرسلت الملكة لهم مائة ألف زهرة توليب ليزرعوها في بلادهم، حقًا يا لذلك التواضع والعطاء والحب بين الشعبين!

نعم فأمل تُشبه تلك الزهرة الرائعة إلى حدٍ كبير، لكن هناك من سعى ويسعى لتدمير تلك الزهرة وكبح ظهورها للحياةِ مرةً أخرى، وها قد تملكت منها اللا مبالاة، تضحك وتلهو ولا تُفكر بشيء، لا تهتم الآن سوى بإطعام عصافيرها وإمساك الفرشاة والألوان وتلوين كل شيءٍ رأته أمامها، أصابها التبلد، تتحدث بصوتٍ عالٍ ولا تكترث لأحد، تغضب كالأطفال لأتفه الأسباب، لا تدري أنها تهوي إلى القاع، سقطت في حفرة أفكارها، وعلى الأرجح أنها ستذهب الى أعمق نقطة ولن تعود!

هذا ما لم يدركه أحد، اختلفت آرائهم في تشخيص ما أصابها؛ فاعتقد والدها أنها تحاول أن تُبدل ما حدث بحياتها طوال الفترة الماضية، بينما اعتقدت أختها أنها استعادت عقلها وستبدأ في التفكير في ما يفيدها ويُصلح مستقبلها، مَن أدركت فقط أنها ليست بطبيعتها هي والدتها، بالكاد الأم هي مَن تشعر بما يدور بداخلنا بدون حديثٍ أو إفصاح عنه، عادت إلى المنزل بعد عدة أيام مكثتهم في المستشفى، ولم تسأل قط عن سائر أو عن أخباره التي انقطعت، في الحقيقة لم تبالِ لأمره، حتى إن أهلها اعتقدوا أنها نسيت وجوده، فوجوده كغيابه بالنسبةِ لها.

دق أحدهم على الباب بعنفٍ عدة مرات إلى أن خرجت صافي صباحًا وفتحت الباب قلقة، ما هذا الذي تراه؟! أيعقل أن يكون حقيقيًا أم هي في غير وعيها؟ لا بل ما تراه أخبرها أنها هي في الواقع، صرخت عندما رأتها ممزقة الملابس، شعرها المتداخلة خصلاته عشوائيًا، الأسود القاتم الذي يحيط عينيها، آثار أظافر على ذراعيها وخدوش وجهها المتناثرة في أنحائه، في الواقع بدت علامات تلك الرغبة الحيوانية الجامحة على جسدها، نعم إنها رهف!

سقطت رهف بين يدي والدتها في حالةٍ يُرثى لها، احتضنتها صافي وأدخلتها الغرفة في بكاءٍ شديد وأسئلةٍ لم تستطع الفتاة أن تجيب عليها، أخذتها إلى المرحاض لتزيل أوساخ جسدها بالمياه، بدت الأوساخ لرهف كما الأوجاع، نعم إنها أوجاع جسدها، بعد أن أنهت صافي تنظيف ابنتها أحضرت إحدى ملابس النوم الخاصة بها، كان قميصًا قصيرًا يصل حد الركبتين ليس أكثر بدون أكمام، تعمدت إحضاره فضفاضًا وقصيرًا وبدون

أكمام لكي تقوم بتضميد جراح جسد رهف، أجلستها على سريرها، ثم أحضرت طبق مياه دافئة وكمية لا بأس بها من القطن، وبدأت في وضع تلك القطع من القطن على خدوش ذراعيها، لا تؤلمها جسديًا لكن كلما وضعت صافي يديها على جروح ابنتها كانت تبدأ في إصدار الآهات، فتلك أوجاع ما فعله سائر بها، أوجاع عجزها عن الهرب من بين يديه، أوجاع قسوته على فتاةٍ وانتهاكها بلا رحمة، بل كان أكثر من هذا وجع ذلك الجسد التي أقسمت وعاهدت نفسها أنه لن يقترب منه سوى رامز! كيف خاطرت ودخلت منزل سائر وحدها غير مباليةٍ بما سيحدث أو من الممكن أن يحدث، نعم فقد صوَّر لها عقلها أنها قادرة على السيطرة على سائر أو الهرب منه في حالة الخطر، ولكن ما حدث أنها هربت منه بعد وقوع ما كانت تخشاه، انتبهت رهف لبكاء أمها بعد ساعةٍ متواصلة من الحديث بجوارها ورهف لا تجيب، أخبرتها رهف أن تكف عن البكاء وأن كل شيءٍ على ما يرام، نعم فرهف لا ترغب في ضياع ما فعلت من أجل رامز وميرا عبثًا، قررت في قرارة نفسها أنها ستُكمل المعركة لنهايتها، بل سيكون موت سائر على يديها!

هكذا أقسمت رهف، ازداد كرهها له أضعافًا مضاعفة، ازدادت رغبة الانتقام إلى حدٍ لم تكن تتوقعه، انسابت دمعات رهف وعقلها يسترجع آخر لحظاتها في ذلك المنزل البائس، كانت إحدى أصعب لحظات حياتها؛ الفرار من بين يدي ذلك الجاف عديم الإحساس المتجرد من آدميته، انتهزت لحظة غرقه في النوم وكان قد حرر قيودها ونسِيَ أن يربطها مجددًا قبل نومه، نعم تتذكر جيدًا أين وضع مفتاح المنزل، نزلت من السرير ببطءً؛ كي لا يشعر بها سائر، كما أيضًا أن عظامها كانت

غير قادرةٍ على الحركة، سارت بهدوءٍ شديد نحو الصالة وهي تتأرجح كالسكير وتمسك بالحائط وبأطراف أثاث المنزل كي لا تسقط، رأت أمامها المزهرية التي وضع بها سائر مفتاح المنزل؛ فقلبتها رأسًا على قعب حتى سقط المفتاح أرضًا.

أحضرته وقامت بفتح الباب والفرار حتى بدون الحصول على حذائها، لم تحصل سوى على هاتفها الذي رأته بجوار المزهرية في الصالة، كان صباحًا قاسيًا، يرمي بها بكل اتجاهٍ بدون رحمةٍ أو شفقة، يستعمر الراحة من بين ضلوعها، آخر صباحٍ مرعبٍ لها بمنزل ذلك الحيوان!

أمسكت بهاتفها لتهاتف ميرا وتطمئن عليها، بحثت في لائحة الأسماء عن اسمها حتى وجدته؛ فضغطت عليه وصدر رنين بعد ثوانٍ معدودة:

ـ ميرا، إزيك.

ـ كويسة يا رهف، إنتي أخبارك إيه؟

سكتت رهف لبرهةٍ، ثم أجابتها بصوتٍ منكسر:

ـ موجودة يا ميرا موجودة، عملتي إيه مع فريد بيه؟

ـ كلمته في كل حاجة.

ـ طب وإيه اللي حصل؟ كملي.

ـ من يومها وهو في المستشفى، غيبوبة ومصحيش منها لسه.

شهقت رهف مصدومةً مما سمعت، ثم أجابتها:

ـ وها تعملي إيه؟ كدا حاجات كتير ها تقف لحد ما يفوق.

- هاستنى، هو عمومًا وجوده من عدمه مش فارق معايا، أنا بس حبيت أواجهه قبل ما أقوم بأي إجراء، يمكن الوقت يكشف لي حاجة تانية، يمكن.
- والله يا ميرا اللي تشوفيه صح اعمليه، محدش ليه حق إنه يلوم عليكي في أي تصرف.
- تفتكري سائر ها يجي هنا ولا ها يستنى في مصر؟

سائر! أتذكر اسمه مجددًا أمامها؟! أصبحت رهف تكرهه أكثر من الشيطان، فبمجرد ذكر اسمه أمامها يبث الرعب ورغبة الانتقام في آنٍ واحد بجسدها، أفاقت رهف من غفوتها على صوت ميرا تناديها في الهاتف:

- يا رهف، رحتي فين؟
- معاكي.. آسفة.
- مالك يا حبيبتي، حاسة إنك مش مظبوطة وبتهربي من الكلام عن سائر فهميني.

أجابت رهف على سؤال ميرا عن سائر متجنبةً الإجابة على استفسارها الأخير:

- هو لو غبي ها يستنى في مصر؟! بالعقل كدا المفروض إنه ها يهرب، أقلها ها يرجع المكسيك.
- رهف، أنا عارفة كل دا كويس ردي عليا، مالك؟

ـ آسفة يا رهف هقفل علشان في تليفون من المستشفى، غالبا بابا فاق.

قالتها ميرا قبل أن تبدأ رهف حديثها عما حدث لها؛ فقطعت حديثها مع صديقتها وأجابت على مكالمة المستشفى:

ـ أيوه أنا ميرا فريد.

ـ .....

ـ حاضر هاجي حالًا، بس ها ياخد قد إيه علشان يخرج؟

ـ .....

ـ ليه كل الوقت دا؟

ـ .....

ـ تمام تمام شكرًا.

ارتدت ميرا ملابسها وذهبت للمستشفى، فقد أخبرها الطبيب أن والدها قد استعاد وعيه، ولكنه لا يمكنه الخروج الآن لأن حالته الصحية لم تتحسن بعد، دخلت المستشفى بخطواتٍ بديعة وفاتنة، وصلت إلى باب الغرفة التي تم احتجاز والدها بها، لكن منعها شخص ما من الدخول مُزيلًا يدها من على مقبض الباب، أدركت أنه المحامي الخاص بأبيها بعد الالتفات إلى وجهه، إنه السيد «**نوح الطناني**» محامي مجموعة شركات «**فريد الخولي**» وصديق عمره أيضًا، رجل ذو بشرة بنية، قامته الطويلة وأنفه المفلطح جعلته مميزًا بين الأجانب؛ فكل من رآه أدرك من هيئته أنه رجل شرقي من الطراز الأول!

ـ تعالي يا ميرا سيبيه يرتاح، واما يقوم نبقى ندخل نطمن عليه.

ـ حاضر يا عمي.

نعم اعتبرته ميرا منذ نعومة أظافرها أنه شقيق والدها، لم تناديه قط إلا بعمي.

ذهبا سويًا إلى الكافيتيريا الخاصة بالمستشفى بعد طلب نوح بأن يتحدث معها قليلًا، طلب من النادل كوبين من القهوة الفرنسية، وبدأ حديثه بسؤاله عن أحوالها الصحية، وبعد أن أخبرته أنها بخير استطرد:

- دلوقتي فريد حالته الصحية في تدهور مستمر ومفيش تحسن، ها نبقى واقعيين ومش ها نكدب على بعض، وفي حاجات لازم تعرفيها لأن دا من حقك، المهم عايزك دايمًا متماسكة ومفيش حاجة تأثر عليكي.

قالت ميرا ويبدو أنها كانت تُحدث نفسها بصوتٍ عالٍ:

- لسه في إيه تاني ها يأثر عليا؟
- بتقولي حاجة؟
- لا لا أبدًا، كمل يا عمي.
- فريد، مش أبوكي يا ميرا.

كلمات صفعت ميرا مرةً أخرى على وجهها وقلبها، سنوات تربت فيها بين ذراعي شخص ليس بأبيها، ألن يكُف فريد عن إيذاء روحها وإحداث شروخ لن تُشفى مطلقًا؟ يبدو أنه أعجبته تلك اللعبة؛ يُمزق أحشاء روحها وأفكارها وينظر مبتسمًا من بعيد أستصمد أم سينتصر السقوط؟ ولكن ما حدث الآن هو ما لم يكن يتوقعه نوح؛ فكلماته لم تُحرك بملامحها وحواسها ساكنًا، صامتة تنظر له بإصغاءٍ واهتمام لما يقول، وتُشير له أن يكمل حديثه، الآن فقط أدركت من أين أتى جَفاء مشاعرها عندما رأته يهوي أرضًا:

- أما لورين ولدت ابنها؛ مات بعد شهرين، وبسبب إنها ماتحملتش الصدمة اضطر فريد إنه يتبنى طفل أو طفلة، ساعتها أنا مكنتش جيت هنا؛ فطلب مني أقوم بالإجراءات دي وأسافر له والطفل معايا، وفعلًا نفذت اللي طلبه مني، وجبتك على هنا، أما لورين أدركت بعد صدمة نفسية قعدت معاها سنين إنك مش بنتها، وطبعًا زي ما انتي عارفة أبوكي كل حياته الشغل؛ فكان بيتعامل معاها بإهمال غير عادي، فطلبت منه الطلاق وفعلًا طلقها وأخدك منها وهي وافقت، هو كان اتعلق بيكي أوي وقرر إنه مش ها يسيبك، وكان صعب عليه إنه يقول لك حاجة زي كدا، أول ما فاق من الغيبوبة طلب مني أحكي لك؛ علشان مش ها يقدر يواجهك، مش ها يبقى عنده الشجاعة الكافية إنه يبص في عيونك وهو بيقول كل دا.

قاطعته ميرا عاقدةً جبينها في غضبٍ:

- شجاعة إيه اللي بتتكلم عنها؟ دا أكتر شخص جبان عرفته في حياتي.
- ما تظلميش فريد يا ميرا، هو حبك جدًا أكتر من كونك بنته.
- اللي يحب عمره ما يعمل اللي عمله فيا، دا عمره ما كان ولا ها يكون أب.

مؤكد أن ما دار بذهن نوح أن ميرا تقصد إخفاءه أمر نَسبِها، لا يعلم أنها تقصد تجارته للآثار وشراكته لسائر وقتله لرامز، فبرغم فترة صداقة نوح وفريد إلا أن (**فريد**) تعمد إخفاء أعماله القذرة عن صديقه،

لم يخبره قط لأنه يعلم جيدًا كيف سيكون رد فعله، فـ (**نوح**) متشدد أخلاقيًا، حريصًا على مبادئه، بالكاد لن تثير إعجابه تلك الأفعال.

أكمل نوح حديثه بكلماتٍ اعتقد أنها ستهدئ من روعها:

ـ فريد كتب كل حاجة باسمك يا ميرا.

زفرت ميرا وأجابته بابتسامةٍ جافة:

ـ مش عايزة منه حاجة، خليه يشبع بيهم.

نظر لها في صدمةٍ اجتاحته كليًا، ثم أجابها:

ـ ما تتسرعيش يا ميرا، اوعي تتسرعي في قرار زي دا.

ـ مش متسرعة إطلاقًا، ما تقلقش يا أستاذ نوح.

قالت ميرا تلك الكلمات وقد اعترى كلماتها الثقة، نهضت من مكانها وأخبرته أن عليها الذهاب فورًا لتقوم ببعض الأعمال الهامة.

◈

ـ دي بقت تضحك وتخرج وتشتري حاجات كل شوية، بقت تلعب زي الأطفال!

قالتها سمر لرامي وهي تُحدثه في الهاتف مساءً في شرفة المنزل، فقد كانا يتحدثان عن أمل وعن تحسن حالتها من وجهة نظر سمر، وكانت سمر تحكي ولا يعتري صوتها سوى السعادة، لكن رأي رامي كان مختلفًا بعض الشيء، فقد اعترض على فكرة أن حالتها في تحسن أو أنها بدأت التفكير في نفسها حقًا، فأخبر سمر أن تلك الحالة يطلقون عليها اللا مبالاة؛ آخر وأقصى مراحل الألم النفسي، وخطورتها لا تقل عن خطورة

الاكتئاب، وعدم اهتمامها بالسؤال على سائر أكبر دليل أنه أول وأهم أسباب ما أصابها من تبلد غير مبرر!

فآلام العشق تجعل وجودنا في الحياة لعنة لا يمكن الشفاء منها، كالإبحار على زورق بلا مجداف، لا تعرف من أين أتت وأين يجب أن تذهب؟ العشاق ليسوا دائمًا في نعيم، خاصةً إذا كان العشق من طرفٍ واحد؛ فالعاشق يكون على ثقةٍ أن قلبه سيلقى مصرعه يومًا؛ فتتحول الفرحة إلى بؤسٍ والبسمة إلى دموع، فقد أتت الرايح بما لم يشتهِ قلبها، إنه عذاب في صمت وأسئلة محيرة ستظل بلا جواب، هكذا كان وصف رامي ما أصاب أمل، فما مرت به ليس بالقليل.

قالت سمر في استحياءٍ بعد حديثٍ طويل:

- وحشتني.
- وانتي والله يا سمر، وحشتيني وعايز أشوفك فعلًا.
- بقالك كتير ما جيتش، وماما لسه كانت بتقول لي أقول لك تيجي بكرة، تيجي؟

صمت للحظاتٍ من الواضح أنه كان يفكر في أمر ذهابه، أجابها بعد أن اتخذ قرارًا:

- خلاص ماشي، هاجي بكرة بإذن الله يا حبيبتي.

مضى ذلك اليوم بعد مكالمةٍ استمرت فيما يقرب من ساعتين لحق بها الكثير من التفكير في كلمات رامي عن ما يحدث لأمل إذًا ربما هو على حق، وربما أيضًا سمر على حق، لكن صغر سن سمر لم يجعلها بقادرةٍ على استيعاب فكرة أقصى مراحل الألم النفسي.

يوم جديد وربيع جديد، والدة سمر تعد الطعام ورائحته تفوح في أرجاء المنزل، بل أوشكت على الانتشار بالشارع كله، أنهت سمر تنظيف المنزل ووضعت الكثير من الأزهار في مزهرية طاولة المطبخ ومزهرية الصالة، تلك الأزهار البنفسجية التي تبعث الراحة الجسدية والنفسية لسمر، لقد كانت سمر تفهم حيل الورود؛ فالزهرة الواحدة تعني أنت لي كل شيء، والوردتان تعني ليتنا نسافر سويًا، والثلاث تعني متى سألتقي بك في المرة القادمة؟ أما دلالة الأربع وردات هي «**أنا أشكرك**»، ربما لهذا السبب لم تضع سمر قط هذا العدد!، الخمس وردات تعني سأفعل كل شيءٍ لأجلك، وهذا العدد الذي قامت سمر بوضعه في المزهرية أكثر من مرة، وقد اتخذت قرارًا ألا تضع ست وردات أبدًا؛ فهي تعني «**أنا أشك في حديثك**»، وهي قطعًا تثق برامي ثقةً لا حدود لها، في هذا الصباح كان مزاجها هادئًا وغير مضطربٍ؛ لذلك قامت بوضع سبع وردات بمزهرية الصالة، وتلك التي تعني «**قطعًا أنا أحبك**»، وكانت على ثقةٍ أن رامي سيتفهم دلالة هذا العدد، فمنذ فترةٍ علمته إياها حتى أصبح يتقن فهمها أكثر منها شخصيًا، أما ذلك اللون فاختارته لما به من سحر وجاذبية؛ فهو لون الملوك والنبلاء، وضعته لكي يمتص التوتر الذي يحيط بهما في بعض الأحيان!

بدأت سمر ارتداء ملابسها، فارتدت إحدى فساتينها المفضلة، ولكن بحكم أنها أصبحت محجبة؛ ارتدت جاكيتًا قصيرًا أسودًا؛ فالفستان كان بدون أكمام، ولأنها قررت سماع ما طلبه منها رامي وتنفيذه كما قامت به على أكمل وجه.

قاربت الساعة الخامسة ولم تخرج أمل من غرفتها بعد، لم تخرج لتأخذ رأي أختها ووالدتها بما سترتدي مثل المرات السابقة، لم تساعد والدتها في إعداد الطعام، لم تذهب إلى عملها، في الواقع كانت في ذلك اليوم كمن ليس له أثر في الكوكب قط!

أيضًا إلى الآن لم يصل رامي إلى المنزل، لم تكن عادته أن يتأخر هكذا، مرت ساعتان أخريتان ولكن دون جدوى، زاد قلق سمر عليه عندما قامت بالاتصال به عدة مرات ولكن دون إجابة، لا بدَّ أن والدته تعلم أين هو، وماذا أصابه ليتأخر بهذا الشكل، هذا ما دار بذهن سمر حينها قامت بالاتصال بوالدته على الفور:

- أنا سمر يا طنط.. أنا بخير الحمد لله.. هو رامي فين، خير حصل حاجة؟
- لا ما تقلقيش يا حبيبتي، هو بخير بس سافر على طيارة الصبح بره مصر.
- بتقولي إيه؟ سافر ازاي؟ ومن غير حتى ما يقول لي؟ طب ليه وها ييجي إمتى؟
- عمه تعبان، تقدري تقولي كدا بيموت، وأبو رامي تعبان ومش حمل سفر، فرامي كان لازم يسافر وماتخافيش يعني مش هيطول، هما كام يوم وراجع.

عجزت سمر عن الحديث، واكتفت بقولها «**ماشي.. سلام**»، من أين له بعم لم يذكره لها من قبل؟ بل أيضًا عمه هذا خارج مصر، ألم يسعه محادثتها وإخبارها أنه سيسافر؟ أم يخفي عنها شيئًا؟ هل لوجودها أهمية

له أم أنه مثل عدمه؟ تلك التساؤلات التي جعلت سمر حائرة بين سفره المفاجئ وعمه الجديد الذي لم تكن تعلم عنه شيئًا.

- يا ميرا لازم تفهمي إن قرارك دا معناه حاجة واحدة؛ لو فريد حصل له حاجة وانتي اتنازلتي عن الشركات والبيت والفلوس اللي في البنوك كل دا ها يروح لعمك بعد ما الدولة تاخد نسبتها من الورث.

قالها نوح وهو يحاول إقناعها بتقبل إرثها من والدها، فـ بالفعل قد وصل تدهور حالة فريد إلى ذروتها، لكن ما هذا الذي يقوله السيد نوح، هل لها عم أيضًا لا تعرف عنه شيئًا؟ بالكاد هو ليس عمها لأنها ليست ابنة فريد، ولكن طوال حياتها معه لم تسمع قط على أن لها عم أو أي أقارب، لا بالمكسيك ولا أيضًا بمصر!

سألته لعله يجيبها:

- عمي مين؟ أنا معرفش حد غير حضرتك بقول له يا عمي.
- ليكي عم يا ميرا، أخو فريد، بس دايمًا كان فريد على خلاف معاه، ولو رفضتي؛ الورث ها يروح كله ليه هو وابنه.. ها يروح لهم مصر.
- هو ليه ما قالش إن ليا قرايب؟ وفي مصر كمان؟
- لا إنتي ممكن تترجميها بشكل تاني، هو علشان كدا مكانش عايزك تنزلي مصر وتخطلتي بيهم أو تتعلقي بهناك، وخصوصًا إن ابن عمك قريب منك سنًا.

ضحكت ميرًا عاليًا، ثم أجابته في ابتسامة سخرية:

- في إيه تاني استنيتوا اللحظة دي علشان أعرفه؟ كمل يا أستاذ نوح، خلاص ما بقتش أتأثر.

نظر لها نوح عاقدًا حاجبيه حزينًا من رد فعلها، ثم أكمل:

- ميرا يا بنتي، إنتي تعملي أي حاجة إلا إنك تبطلي تقولي لي يا عمي، هاتصدقيني لو قلت لك إن مفيش حد حبك في البلد دي قدي؟ اوعي تكرهيني بسبب أي حاجة عملها فريد، أنا ماليش ذنب، أنا كنت وما زلت بنفذ طلباته وبس احترامًا لصداقتنا، بس إنتي! إنتي بنتي اللي ما جبتهاش يا ميرا.

أمسكت ميرا بيده بعد شعورها بالذنب تجاه رد فعلها عما أخبرها به، رتبت على يده بلطفٍ، ثم أجابته:

- أنا آسفة يا عمي، فعلًا مش قصدي، تقريبًا في البلد دي حضرتك الحقيقة الوحيدة، الحاجة اللي بتخليني أضحك وأحس إن ليا أهل وناس فعلًا، يمكن أكتر من فريد الخولي!
- فريد الخولي!
- أيوه فريد أو فريد باشا زي ما بيقولوا.
- أنا مش قادر أفهم إنتي كرهتيه بالشكل دا ليه، أصل اللي حصل مش سبب كافي للكراهية اللي حاسسها جواكي؛ أو بمعنى أصح اللي في عنيكي، ويوم ما حكيت لك قلتي جملة مش فاهمها، قلتي: «**هو لسا في إيه تاني ها يأثر عليا؟!**»، لو ها ينفع يا ميرا احكي لي، يمكن أقدر أقف جمبك، أنا ما عنديش أغلى منك!

- هاحكي لك يا عمي، بس مقولتليش كنت عايزني أساسًا النهاردة ليه؟
- يا ريت ردود أفعالك تبقى هادية وبلاش تفاجئيني.

ضحكت ميرا وردت بهدوء:

- على حسب يعني.
- عمك ما صدق طبعًا إنه سمع خبر تعب أبوكي اللي مش عارف وصله مصر ازاي، المهم إنه بعت ابنه، وكمان بِطَلب من فريد؛ فريد بنفسه اللي أكد عليا إنه ينزل في أوتيل حلو واطمن عليه ومخليهوش محتاج أي حاجة هنا.
- معنى كدا إنه وصل فعلًا؟

قالتها ميرا رافعة حاجبيها في دهشةٍ مما تسمع، فأجابها نوح:

- بالظبط كدا، هو هنا ولحد دلوقتي مش فاهم إيه اللي فريد ناوي عليه، اللي أعرفه إنه طلب يجتمع بـ ٤ أشخاص وهايقول لهم على كل اللي عايزه يحصل قبل ما يموت.
- يا عمي أنا مش هنفذ أي حاجة هو عايزها.

قالتها ميرا بنبرةٍ تحذيرية متقطعة، ولم تنتظر منه إجابة فاستطردت مسرعة:

- مين الأربعة دول؟ مين غيري يعني ناوي يوصيه؟

سكت نوح لبرهةٍ وبدأ يخبرها بشكلٍ متقطع بعدما لاحظ فضولها الشديد لتعرف:

- إنتي قبل أي حد، وانا وابن عمك و... واحد من الناس اللي ليهم شغل وصفقات مع شركات فريد.

ـ اسمه إيه؟

قالتها وهي على أتم استعدادها لاستقبال ذلك الاسم الذي توقعته مسبقًا، فأجابها نوح بعد إنكاره أكثر من مرة أنها ستتعرف عليه من مجرد اسمه، لكن إصرارها أجبره على إخبارها:

ـ سائر النقراشي.

نعم كانت على ثقة أنه سيكون سائر، عدم رغبتها في لقائه أو رؤيته في أي مكانٍ حولها أو سماع صوته جعلها بدون إدراك تمسك بالكوب البلاستيكي الموضوع أمامها على الطاولةِ وتضغط عليه؛ حتى تحطم بين أصابعها وجرحت يدها غير واعية، مجرد سماع اسم سائر يبدل ملامحها ومشاعرها ويجعلها تكره كل ما يحيط بها.

ـ مش فاهمة هو عايزنا احنا الـ ٤ ليه؟ وإيه ابن عمي اللي طلع فجأة دا، أنا مش عارفة هو عايز يوصل لإيه بالظبط؟

ـ خلينا وراه للآخر، نوح هايكلم سائر علشان يروح صح؟

ـ أكيد يا رهف.

حاولت رهف أن تجتاز عدم رغبتها في سماع اسم سائر، فالفترة القادمة بأكملها ستجبرها على مواجهته، ستجبرها على التعامل معه سواء بطريقٍ مباشرة أم لا، لم ترد أيضًا أن تبث الزحام في ذهن ميرا، فما تمر به ليس بأقل سوءٍ، اشتاقت صافي إلى ميرا وللحديث معها؛ فطلبت من رهف بإصرارٍ أن تعطيها الهاتف لتُحدثها قليلًا، أنهت رهف حديثها مع ميرا معللةً بأنها ذاهبة لشراء بعض الأغراض، أمسكت والدة رهف الهاتف وبدأت حديثها بعد أن تأكدت أن رهف قد غادرت المنزل، بعد

الاطمئنان على ميرا والحديث المعتاد عما حدث معها أو سيحدث؛ بدأت بإخبارها بما حدث في اليومين الماضيين:

- رهف ماجتش بعد ما انتي مشيتي يا ميرا زي ما قلتي لي.

أجابتها (**ميرا**) بنبرة دهشة:

- إزاي؟ جت إمتى؟ وإيه اللي حصل بالظبط؟
- رهف جت من يومين بس، مش عارفة إيه اللي أجبرني أستنى لحد دلوقتي ومبلغش الشرطة، حسيت إنك لو موجودة ما كنتيش ها تستني الشرطة وإجراءاتهم البطيئة، جت مابتنطقش، وشها ودراعاتها ورقبتها بينزفوا ومكان النزيف آثار ضوافر، كأن ذئب انقض عليها، وهدومها كلها مقطعة، ولحد دلوقتي مش راضية تحكي عن حاجة، مش راضية تتكلم يا ميرا.

سكتت ميرا لدقائق، أدركت أن عينيها قد امتلأتا بالدموع؛ فقد ترجم عقلها تلك الأفعال الحيوانية، قطعًا إنه سائر ليس بقلبه ذرة رحمة واحدة، سرق منها مَن عشقت والآن يرغب في سرقة صديقتها الوحيدة بحق! وكأنه خُلق من طين جهنم، ليس كبقية البشر.

ما كان أكثر غرابة ما فعلته صافي، فكرت أنه لو ميرا بموقفها ما الذي كانت ستفعله وفعلت، كما أن اشتياقها إلى ميرا هذا الغير مبرر حيَّر ميرا أكثر وأكثر، ليس لأن صافي اشتاقت لها؛ بل لأن ميرا قد افتقدتها أيضًا، افتقدت كلماتها.. نصائحها.. ملمس يدها الدافئ الذي ينبئها دومًا بأن تطمئن، افتقدت مذاق طعامها الذي لم تتذوق طعامًا رائعًا مثله، اشتاقت أيضًا لاحتضانها حقًا!

إذًا لا بد أن شعور افتقاد ميرا لأم طوال سنوات حياتها جعلها تتعلق بصافي، تعلقت بها إلى حد أنها تمنتْ أن ينتهي مشوارها في تلك البلدة جافة المشاعر لتعود إلى حضن الإسكندرية وترى رهف وصافي!

نصف ساعة مرت على حديث صافي وميرا إلى أن ودعتها في لطفٍ بسبب استدعاء طبيب والدها لها، لم يخبرها الطبيب بشيءٍ جديد، الحالة إلى الآن مستقرة ولم يحدث أي تطورات، ولكن حذرها الطبيب من شيءٍ واحد فقط؛ وهو أن ينفذوا ما يرغب به لأنهم لا يعلمون متى سيأذن الله ويأخذ أمانته.

الغد إحدى الأيام العصيبة التي ستمر بها ميرا؛ فقد أخبرها نوح أنه قد حدَّث سائر وسيكون بمكسيكو مساء اليوم، لكن الغد هو اجتماعهم الذي رغب به فريد، الاجتماع الذي تناقضت مشاعر ميرا بين رغبتها في معرفة ما يفكر به والدها وبين عدم قدرتها على رؤية عيني سائر الجاحدة، أخذ نوح إحدى المقاعد وجلس عليه بجوار ميرا في كافيتيريا المستشفى كعادتهم منذ دخول فريد ذلك المكان الذي يخرج منه البشر على قبورهم ليس على أي موقعٍ آخر!

- أنا بعتتْ عربية تجيب رامي من الأوتيل.
- رامي مين؟
- ابن عمك، إنتي نسيتي إنك هتشوفيه النهاردة؟!
- آه افتكرت، متقولش بس ابن عمي، ابن أخو فريد بيه.
- أيًا كان يا ميرا، علشان بس تعرفوا كلكوا تتناقشوا بكرة مع فريد، وسائر جاي بليل، طبعًا مش ها تلحقي تقعدي معاه.

قالت ميرا حانقة:

- ما تقلقش يا عمي، عارفاه كويس وتقريبًا محدش عارفه قدي.
- تعرفي سائر إزاي؟ ومن إمتى؟ وإيه الثقة دي؟
- مش حضرتك عايز تعرف الحكاية اللي ما بقاش حاجة تأثر فيا بسببها؟ أنا هاحكي لك.

بدأت ميرا تروي كل ما حدث لها منذ ذهابها إلى مصر ولقائها برامز حتى حصولها على السلاح الميري الخاص بسائر عن طريق رهف، سردت له أيضًا ما حدث لرهف بعد عودة ميرا إلى المكسيك.. سردت له كل شيءٍ، لم تترك دقيقة لها بمصر لم تحدثه عنها.. أنهت حديثها ولم تنتظر منه ردًا؛ فهي تعلم أن ما روته ليس بالسهل استيعابه، ظل نوح يتأمل الصمت في صدمة اعترته كليًا؛ فما شاهده من مقاطع فيديو على هاتف ميرا جعلت وعيه يغادر عقله، أيمكث كل تلك السنوات مع فريد في تلك البلدة ولم يدرِ بأي شيء يقوم به صديقه؟ ألم يرغب فريد في إخباره حتى بعد مرضه وقُرب أجله؟ أيُنقب فريد عن آثار وشريكه هو أكبر عملاء شركاته؟ أوصلت الجرأة بفريد وانعدام الضمير إلى القتل؟ يا الله.. كيف تحملت ميرا كل تلك المحن وحدها؟ كيف اهتدى عقلها لعدم إخبارها الشرطة؟ يا لها من فتاة في غاية القوة والجمال.

كان هذا ما دار بذهن نوح طوال فترة صمته إلى أن خرج عن صمته في غير توقع:

- أنا جنبك يا ميرا، هعمل اللي أقدر عليه علشان نخلص من شرهم.

- لا يا عمي، أنا عايزاك تفضل مخلص لفريد لحد آخر لحظة في حياته، بلاش يحس إنك عرفت حاجة، كدا ولا كدا مفيش حاجة ها تستخبى، فبلاش دلوقتي تظهر أي شعور.
- حاضر، زي ما تحبي.

رن هاتف نوح ونهض معلنًا ذهابه قائلًا:

- رامي بيرن، قومي يللا علشان ننزل، هو ما يعرفش حاجة هنا.

نهضت ميرا ممسكة بذراع نوح، وذهبا للقاء الفتى الذي حتمًا إنه لقاؤه الأول بميرا.. وصلا إلى باب المستشفى بعد دقائق من السير، اقتربا منه ببطءٍ، لاحظ نوح التوتر بملامح ميرا والتركيز الساحق بملامحه وكأنها تعرفه من قبل، سألها في تعجب:

- مالك يا ميرا في إيه؟
- أنا عارفاه، شفته في مصر بس مش فاكرة فين وإمتى، أنا عارفاه بس مش فاكرة.

زفرت ميرا تلك الكلمات بضيقٍ من عدم قدرتها على التذكر، وفي الثواني الأخيرة من اقترابهما منه تذكرت، نعم تذكرت تلك الملامح جيدًا، رأتها مرة واحدة لكن ميرا تحتفظ جيدًا بالملامح في ذاكرتها العميقة، لكنها لم تخبر نوح، بل نطقت بعض الكلمات عند رؤتيها رامي بدلًا من كلمات التعارف السطحية اللعينة التي لطالما كرهتها الفتاة:

- قول إن أنا غلطانة وان انت مش خطيب سمر.

قالتها وهي تضع يدها على قلبها خوفًا أن يكون ظنها صحيحًا، وقد حدث؛ أجابها رامي مبتسمًا:

- أيوه أنا، أنا رامي خطيب سمر، إنتي عرفتي ازاي؟

قاطعهما نوح متسائلًا:

ـ لا واحدة واحدة عليا، إنتوا تعرفوا بعض؟

أجابته ميرا مسرعةً:

ـ أنا أعرفه، بس هو معتقدش إنه يعرفني، المهم إن بعد كل دا كمان ابن عمي.

وجهت ميرا حديثها إلى رامي وأكملت:

ـ تعرف رهف.. صاحبة أمل؟!

ـ آه طبعا أعرفها، وشفتها في الخطوبة، آاه افتكرت أنا شُفتك معاها.

ـ تمام.. الله ينور عليك، أنا صاحبتها.

نظر نوح لحديثهما وهو يكاد لا يفهم أو يستوعب شيئًا مما يقولانه، لاحظت ميرا هذا جيدًا؛ فهمست في أذنه قائلةً:

ـ رامي يبقى خطيب سمر أخت أمل، أمل خطيبة سائر النقراشي.

استوعب نوح كل شيءٍ بمجرد توضيح الأمر له، قال مغيرًا لمسار الحديث:

ـ كلامنا كله هيكون على باب المستشفى؟! ممكن أستأذنكم يعني نروح أي مكان؟

وافق كليهما على حديثه وشرعوا في الرحيل.

جلس سائر في صالة الركاب المغادرين، فقد تبقى نصف ساعة على موعد الطائرة المتجهة إلى المكسيك، وضع حقيبته الشخصية بجواره، ووضع يديه على فخذيه وأخذ يتأمل في وجوه البشر، فكل فردٍ في هذا المكان له حكايته الخاصة التي ربما يعاني منها أو ربما أسعدته، فهنا من يذهب للزواج، وهناك من أعد عدة رحيله للعلاج، البائس والمبتهج والحائر والهادئ؛ إلى أن لمحت عيناه فتاةً شقراء، لكن يبدو أنها في أواخر العشرينات من عمرها، جمالها سيطر على تفكير سائر، عيناها العسليتان وشعرها الأصفر الفاتح وبشرتها الداكنة التي أضفت جمالًا فوق جمالها، فستانها الأخضر الذي أبرز مفاتنها أكثر، وضعت ساقًا على ساق؛ فكشف الفستان عن فخذيها اللذين كانا أكثر بياضًا من وجهها، تأمله سائر في غير إدراكٍ؛ فحقًا لا يلفت نظره في أي مكانٍ سوى أجساد الفتيات الممشوقات القوام، ولكنه ليس من نوعية الرجال الذين يرفضون الأجسام الممتلئة، بل سائر يُقدس تلك الأجسام، خاصةً ذوات الأصابع الممتلئة المنتهية بطلاء أظافرٍ أسود!

نهدي الفتاة بالنسبة لسائر هما مصدر الجاذبية، فجمال الفتاة بدونهما كابوس لا ينتهي، كما يُفضل سائر أيضًا موسيقى النهد عن حجمه؛ فذات النهد الموسيقي ذو التفاصيل المتعددة هي مَن تترك أثرها محفورًا بذاكرته، يذوب كيانه أيضًا في الفتاة واسعة الأوراك ذات البطن الصغيرة، ليست بالمندلقة أو بالمنحوتة، ولا تكتمل نشوته إلا بالشفاة الممتلئة التي لا يقاومها في أي مكان وأي لحظة يهرول بالتهامها دون مقدمات.

لم تكتمل متعته بتأمل تلك الفتاة؛ فقد حضر وجلس بجوارها أحد أولئك الثيران الذين لا يتركون المراكز الرياضية إلا ساعة النوم، عَدَل سائر عن فكرة الذهاب والتعرف عليها ليملأ مساحة الملل الذي اعتراه لأن ذلك الثور منعه، حتمًا هو زوجها أو أحد أقاربها؛ فحديثها معه لم يكن سطحيًا كالغرباء، بل كانا يتهامسان ويضحكان عاليًا، وبعد لحظات وضع يده على كتفها وضمها إليه، كان ما يفكر به صحيحًا؛ يبدو أنه أحد أقاربها وقد منعه حضوره من التقرب منها أو الحديث إليها.

عاد سائر إلى تفكيره فيما حدث وفيما سيحدث، وفيما يريده فريد من حضوره، بعد ثوانٍ أعلنت إحدى المضيفات أنه قد حان موعد الطائرة، ذهب سائر بخطواتٍ بطيئة في إحدى الممرات الذي ينتهي السير فيه بباب الطائرة، أحس أن شيئًا ما يطبق على صدره كلما اقترب من نهاية الممر، يضيق الممر وتضيق أنفاسه.

أدرك أن شيئًا ما ينتظره في مكسيكو، أهناك ما هو أكثر مما حدث؟ ظل يسأل نفسه ذلك السؤال حتى كاد رأسه أن ينفجر!

جلس على مقعده في الطائرة وبدأ مثلما يفعل في كل مرة يذهب بها إلى بلده الأجنبي أن يتجرد من عباءة العادات والتقاليد والمبادئ والقيم

الخاصة بمصر؛ فهو من وجهة نظره غير مجبرٍ على الخضوع لتلك المبادئ خارج مصر أيضًا، أما ما لا يدركه أو لا يستطيع أُفق ذهنه المحدود استيعابه أنه دون مبادئ!

ساعات من التفكير مضت ببطءٍ على سائر في الطائرة إلى أن وصل في مساء ذلك اليوم القابض! لكنه لم يُحدِّث نوح أو ميرا، وكأنه نسِيَ أنه قد جاء بناءً على طلب فريد، لا بل هو تعمد أن يتصنع النسيان، ذهب إلى منزله الفاره في مكسيكو؛ فوجده مثلما تركه آخر مرة لم يتغير به شيءٌ سوى إحدى الأبواب الزجاجية التي قد انتبه إلى شرخٍ صغير أعلاه، لم يكترث لهذا الأمر فربما أنها إحدى النسور الغبية قامتْ بهذا الفعل، أغطية الفراش مبعثرة للغاية من آثار آخر معركةٍ دارت بينه وبين روز في غرفته الماجنة تلك!

وضع حقيبته أرضًا، ودخل الحمام ليغسل وجهه، ثم أخذ مفتاح سيارته الـ Ferrari وتوجه إلى إحدى حاناته المفضلة، ذلك المكان المخصص لبيع المشروبات الكحولية والبيرة والمُزَر وغيرهم.

◈

ـ تمام يا عمي، هبقى هناك عالوقت، سلام.

قالتها ميرا في نهاية حديثها مع نوح في الصباح، فقد كان يبلغها بميعاد اجتماعهم، ما أثار تفكيرها هو طلب أبيها العجيب، لقد طلب من نوح ومن الأطباء أن يكون ذلك الاجتماع في منزله وعلى فراشه.. إنه يشعر بقرب موعده، لكن ماذا كانت تقصد ميرا بقولها «**هبقى هناك عالوقت**»؟ نعم فقد طلب فريد أن تكون ميرا مع الأطباء والممرضين حين يحضرونه إلى المنزل، لا ترغب في تنفيذ ما يريد لكن شوقها لأن

تنتهي كل تلك الدوامة أجبرها على الموافقة على ما يطلبه نوح منها وعدم المجادلة معه في أي أمر.

بالفعل كانت هناك مثلما أراد، وبعد ساعات قليلة كانوا قد وصلوا منزل فريد ووضعوه على سريره الذهبي المليء بالورود الجذابة، بعد ساعةٍ بالتحديد وصل سائر فقد أخبره نوح أن يأتي في الخامسة، بينما أخبر رامي أن يأتي في السابعة، على الأرجح هناك بعض الأمور لا يريد فريد أن يعرفها رامي، رأت ميرا ذلك المدعو سائر يصافح نوح على باب المنزل وقد اصطحبه نوح تجاه غرفة فريد، أما ميرا فقد رأته من بعيد على بعد حوالي خمسة أمتار، ولعنت تلك الساعة التي دخل فيها سائر إلى حياتهم!

مرت دقائق وهم بالداخل، خرج نوح مسرعًا ونادى ميرا، من الواضح أنه حان موعد حديث ما قبل الفراق.

تقدمت ميرا في خطواتٍ هادئة ثابتة لا تنم عن أي توترٍ على عكس ما بداخلها من اضطراب، جلست على الكرسي المجاور لسرير فريد والمقابل لكرسي سائر، رفعت رأسها ونظرت متأملة عينيه الفاتنتين.. الكاذبتين.. الخائنتين، كانت نظرتها القاسية على سائر بعض الشيء زادت من توتره وهلعه، أمسك فريد بكف نوح ليستند عليه، جلس شبه معتدلٍ وأسند ظهره للخلف، وبعد أن سعل قليلًا ناولته ميرا بعض الماء، ثم بدأ حديثه بصوتٍ شاحب ووجهٍ جامد وجسدٍ هزيل:

- ها نتكلم بكل صراحة علشان لا أنا ولا الوقت حِمل كدب، ميرا عرفت كل حاجة عن شغلنا، وعن نسبها، كل حاجه مكانش لازم تعرفها هي فعلا عرفتها.

قاطعته ميرا في انفعال:

ـ يعني سائر كمان عارف إني مش بنتك؟ دا إيه الجبروت دا؟

أشار لها نوح بسبابته أن تتوقف عن الحديث حتى يستطيع فريد قول كل ما يريد في دقائقه الأخيره بسلام، أكمل فريد وكأنه لم يسمع كلماتها القاسية:

ـ أنا مش هكلمك في اللي عملناه، أنا هطلب منك بس ماتكملش، ماتكملش شغل يا سائر.

نهض سائر وقال بحدة:

ـ جايبني هنا عشان تقول لي مكملش؟! إنت بتهزر يا باشا قبل ما تموت؟ دا مستحيل.

ـ اقعد يا سائر واسمعني للآخر.

جلس سائر وزفر ضيقًا، ثم استطرد فريد:

ـ أنا بموت ومش هاخد معايا حاجه، ثروتي اللي مالهاش أول من آخر دي بتاعتكم، وأعتقد مش هاتخليكم عايزين حاجة تاني.

نظر له سائر وقد اتسعت حدقتاه دهشةً مما يسمع، قاطعته ميرا مرة أخرى:

ـ مش عايزة حاجة من فلوسك الحرام.

أجابها فريد وهو يضغط بقوةٍ على جميع مخارج ألفاظه:

ـ كل الفلوس اللي كانت من نصيبي في تجارة الآثار يا ميرا موجودة في حساب ليا في البنك محدش يعرف عنه حاجة.

ـ فلوسك الحرام والحلال اتخلطوا في إيد واحدة؛ نفس الإيد اللي مسكت الحرام.

قالتها ميرا وهي ممسكة يده بيدها ومشيرة إليها بالأخرى، لم تكمل حديثها فرن جرس المنزل، الساعة السابعة.. إذًا إنه رامي، قبل أن يذهب نوح ليفتح له الباب قال فريد للجميع:

ـ مفيش كلمة تتقال قدام رامي، مش عايز نقاش ولا عايزه يعرف حاجة.

حرك كليهما رأسه لأعلى ولأسفل موافقةً على ما قاله فريد، فتح نوح الباب فدخل رامي مبتسما للجالسين، حياهم ثم جلس هو الآخر على الأريكة في نهاية الغرفة؛ فكانت على بعد متر ونصف من كرسي سائر، بدأ رامي حديثه مندهشًا من الشبه الغير عادي بين فريد وجمال والده.. نفس العيون والشعر البني المائل إلى الذهبي قليلًا، نفس الفم الصغير والأنف ذات الفتحات الواسعة! حقًّا ما أعظم قدرة الله!

قال رامي:

ـ حضرتك يا عمي نسخة تانية من بابا!

ابتسم فريد ابتسامة هادئة، ثم أجاب:

ـ جمال! وحشني أوي، أنا ناقصني كتير من غيره يا رامي، بالمناسبة إنت كمان شبه أبوك أوي وهو قدك كدا.

ـ نسيت أنا آسف، ألف سلامة على حضرتك.

ـ الله يسلمك، سمعت إنك خطبت.. اسمها إيه سعيدة الحظ؟

ـ اسمها سمر، بنوتة ١٧ سنة بس بحبها أوي يا عمي.

نظر له سائر منتبهًا إلى ذلك الاسم، ومتأملًا ملامحه جيدًا على عكس أثناء تحيته لهم، وصدق شكه؛ إنه رامي خطيب سمر شقيقة أمل الصغرى،

لاحظ أيضًا رامي أن مَن يجلس على بعد متر ونصف هو سائر؛ فصاح به في دهشةٍ غير طبيعية:

ـ سائر!

أكمل موجهًا حديثه إلى فريد:

ـ سمر أخت أمل، خطيبة سائر يا عمي.

نظر الحاضرون لبعضهم في صمتٍ بسبب ما أدركه كلٌّ من رامي وسائر وفريد، رد فريد في هدوءٍ:

ـ على العموم ألف مبروك، ندخل في الموضوع علشان مفيش وقت.

◈

زفر فريد زفرةً قوية بعد تنفسه الصعداء، ثم بدأ حديثه وكأنه يبدأه لأول مرة في ذلك اليوم:

ـ رامي، أنا كتبت لك شركة من شركاتي ومش عايز غير إمضتك على الورق دا.

فتح رامي ثغره مصدومًا مما يسمع، ثم نظر إلى نوح وكأنه يسأله هل عمه في وعيه وفي كامل قواه العقلية أم لا؟ لكن نوح هز رأسه إيجابًا أن يوقع رامي على أوراق الملكية، نهض رامي دون أية كلمة وأمسك بالقلم ووقع بالمكان الذي أشار إليه فريد، في تلك اللحظة لم يشغل ذهن سائر سوى أمل، حقًا فقد ذكره رامي بها، كيف له أن ينساها ولا يكترث لمكالمتها؟ كيف أيضًا فعل ما فعله برهف؟ هل نسي أنها ليست كعاهراته وأنها فتاة شرقية؟ بل الأهم من هذا هل نسي أنها صديقة أمل المقربة بعد مريم رحمها الله؟!

ـ نوح، الحساب اللي في البنك اللي قلت لكم عليه كل الفلوس اللي فيه تروح للبلد، ما تاخدوش منها حاجة.

أجابه نوح مستنكرًا:

ـ للبلد!

ـ أيوه، تروح مصر.

قال الحاضرون في نفس الوقت مندهشين:

ـ مصر!!

أجاب فريد:

ـ آه مصر.

أكمل فريد متجاهلًا صدمتهم من قراراته، لكن تلك المرة كان قرارًا مُتفق عليه:

ـ أول شركة أنا عملتها هنا؛ دي بتاعتك يا سائر.. والشركة اللي في برلين بتاعتك يا نوح.

أخذ فريد شهيقًا طويلًا، ثم أكمل:

ـ القصر دا ما ينفعش يكون لحد غير بنتي.

سار الدم متدفقًا إلى رأس ميرا في غضب؛ فهي لا ترغب في سماع تلك الكلمة منه، لكن وجود رامي منعها من الاعتراض فعادت لهدوئها بعد لحظاتٍ معدودة. أكمل فريد بعد شعوره بالتعب المفاجئ:

ـ سيبوني شوية، أنا تعبان ومش قادر أكمل كلام، خلّص يا نوح الورق بسرعة، دلوقتي، يتمضي دلوقتي.

ـ حاضر يا فريد، حاضر.

انصرفوا لخارج الغرفة وكل منهم ينظر للآخر في تساؤل، لم تخلُ أعينهم من التساؤلات التي ستشبع إجابتها فضولهم الشديد.

كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة تسأل صافي ابنتها عن أحوال ميرا، تسألها بشكلٍ يبث القلق والشك في وجدان الفتاة، ولكي تتهرب من أسئلة والدتها المتكررة عن أحوال ميرا وماذا فعلت؟ وعما ستفعل؟ قررت الذهاب لتقضي مع أمل وسمر بعض الوقت، ومن جهةٍ أخرى رغبةً في الانتقام من سائر بسبب ما فعله بها من انتهاكٍ لعِرضها وأفعال حيوانية قاسية!

ذهبت في الصباح دون موعدٍ مسبق، وعلى الرغم من هذا استقبلتها أمل بابتسامتها الخلابة فليس بين الأصدقاء مواعيد ورسميات وأمثالها!

دائمًا ما تكون الفتاة رمزًا للنعومة والرقة، فهي «**الجنس اللطيف**» كما يقولون، إلى أن يقسو عليها أحدهم أو يخونها أو يكذب عليها أو يخذلها.. خاصةً إذا كانت تحبه.. حينها ترى وجهًا آخرًا يمزج بين ملامحه الدهاء والمكر والشر والحزن الشديد، فإذا شعرت بالهزيمة أو الخيانة أو الإهانة لا تستطيع أن تتحمل؛ فتتغير بدرجةٍ هائلة وتصبح إنسانة أخرى تتجرد من إنسانيتها وأحاسيسها، فما أدراك بفتاةٍ تجردت بالفعل من مشاعرها ووصلت إلى اللا مبالاة، وصلت لأقصى مراحل الألم! لا يتبقى سوى تجردها من آدميتها وهذا ما سعت إليه رهف.. ليس بهدف إيذاء صديقتها، رهف أصبح لا يهمها أو يشغل بالها سوى الانتقام من سائر، وهذا هو مقصدها الأول والأخير الآن.

جلست معها وبدأتا حديثهما المعتاد عن العمل وعن الدراسة وعن سمر وخطيبها، كان حديثًا تقليديًا لا يشوبه أي اضطراب، حتى أنهما كانا يستمعان إلى أحد المقطوعات الرائعة لشجرة الأرز الخاصة بعالمنا العربي؛ السيدة الجميلة فيروز، فقد كانت أول أغنية يلحنها لها ابنها المراهق ذا الـ ١٧ عامًا.

«سألوني الناس عنك يا حبيبي
كتبوا المكاتيب وأخذها الهوى
بيعز عليّ غني يا حبيبي
لأول مرة ما بنكون سوا»

لفتت نظر رهف كلمات تلك الأغنية فتذكرت ما روته ميرا عنها؛ فقررت أن تُغير مجرى الحديث بسرد قصة تلك الأغنية على أمل:

- تعرفي قصة الأغنية دي يا أمل؟
- لأ، هي ليها قصة كمان؟!
- آه، أغاني كتير ليها قصص حلوة أوي في كواليسها محدش بياخد باله منها.
- وانتي مين اللي قال لك على كل دا بقى؟
- ميرا، خصوصًا إنها بتحب فيروز جدًا، دايما تقول أنا بعيش في فيروز.
- احكي.

- سنة ١٩٧٢ (**عاصي رحباني**) جوز فيروز جاله نزيف في المخ وحالته كانت متدمرة ودخل المستشفى طبعا، في نفس التوقيت كان في مسرحية تأليف (**عاصي**) و(**منصور**) رحباني وفيروز كانت بتلعب فيها دور، المهم إن منصور كتب كلمات الأغنية اللي فيروز هاتغنيها وتعمد إنه يكتبها بتعبر عن حزنها لأنه مش معاها في المسرحية، واللي لحنها ابنها زياد وكان عنده ١٧ سنه بس! متخيلة!

نظرت لها بتركيز واهتمام قائلة:

- كملي.
- المهم سبحان الله الأغنية نجحت جدًا، بس (**عاصي**) بعد ما بقى كويس زعل من الأغنية جدًا وحس إنهم تاجروا بمرضه لدرجة إنه لغى المسرحية! بس رجعها تاني بعد ما لقى نجاحها أكبر من اللي كان قبل كدا، وهنا انتهت قصتها مع عاصي، حبت بعدين بقى تغنيها في حفلة بس كان عاصي مات.. وهي بتقول: « **لأول مرة ما بنكون سوا**»؛ افتكرت عاصي اللي تقريبًا ما راحش من بالها أبدًا؛ فنزلت دموعها وعيطت قدام جمهورها العظيم!

أنهت رهف حديثها وكأنها تروي قصة لطفلتها الشقية الجميلة؛ فلمحت دمعتين تجريان على وجنيتيها الورديتين في تأثرٍ شديد مما سمعت، مسحت دمعات أمل قائلةً:

- مش للدرجة دي يعني!

لم تجبها أمل واكتفت بالنظر إلى الأزهار الموضوعة بعشوائية على الطاولة البيضاء الصغيرة في منتصف الشرفة وقد تعامدت الشمس عليها محتضناها في حنو.

إذًا أمل ليست بغير مبالية! دمعاتها توحي بأن مشاعرها ما زالت حية، لم تفقدها بعد، لم تعد قادرة على التعبير.. التعبير عن احتياجها لمريم.. التعبير عن اشتياقها لسائر بشدة، دائما خائفة من فقدانه، حاولت انتزاعه من قلبها ورميه بعيدا، لكنها لم تستطع، فكلما حفرت قلبها خرج منه أنين حبها الأعمى، تحترق روحها من جمال ضحكاته، ولدت معه مجددا وها هي تفنى بفناء وجوده، إذ لم تكن اللا مبالاة فإنه الاكتئاب! الاكتئاب الذي حذر الطبيب والد أمل منه.

نعم فاللا مبالاة وعدم الاكتراث لشيءٍ مجرد جزء من أعراض الاكتئاب، فقد فقدت الحماس أيضا لفعل أي شيء، أصيبت بانعدام الأمل والقيمة، اعترتها قلة الحيلة لذلك أصبحت تلهو وتلعب أوقات، وتبكي في أوقات، وتسمع الموسيقى في أوقاتٍ أخرى، دائمًا كانت تصف الموسيقى بأنها نبضها، تسري بجسدها كالدم أو الإشارات العصبية، أصبحت تلجأ لها كثيرًا، باتت حالات أمل تستحق المراقبة!

ـ البقاء لله يا ميرا.

قالها نوح بعدما خرج من غرفة فريد مصطحبًا معه الطبيب، نظرت له ميرا صامتةً لبرهةٍ، ثم أجابته وهي تضغط على حروفها في هدوء:

ـ ينفع أدخل له دقيقتين!

ـ أكيد، ادخلي، دي آخر مرة تشوفيه.

تحركت ببطءٍ إلى أن وصلت لباب الغرفة، طرقته برقتها المعتادة عندما كانت تدخل مكتب فريد، لكن تلك المرة لم يأذن لها بالدخول.. ولم يمانع أيضًا، دخلت بتأني وتجنبت عيناها النظر إليه لدقائق، وإذ بها تتأمله.. لكنها وجدت أن وجهه قد ولى خلف الملاءة البيضاء.. تلك الملاءة اللعينة التي أخفت وجه رامز أيضًا عنها.

استعدي يا فتاة، فقد حان موعد الفراق مرةً أخرى، دقت تلك الكلمات طبول ذهنها مرة أخرى، اقتربت منه أكثر ثم جلست على ذلك الكرسي الذي جلست عليه بالأمس، أزالت الملاءة عن وجهه ببطء، فجأة ثقل صدرها، شبكت يدها على قلبها وقالت محاولةً منع الحزن أن يباغتها:

ـ يا الله!

لم تشعر بذاتها إلا وهي ممسكةً يديه جالسة أرضًا ودموعها كادت أن تُغرق يد فريد! نعم فقد تذكرت كل لحظة عاصرتها معه، تذكرت ضحكها بجواره في المكتب مساء كل خميس، تذكرت مدحه لها وهي في الحادية عشر من عمرها عندما قامت بإعداد أول فنجان قهوة له، تذكرت سعيه لأن يحضر لها كل ما ترغب، احتضانه لها كلما استيقظت صارخة بسبب رؤيتها لحلم ما أفزعها، مخالب الفراق بدأت تُمزقها مرةً أخرى، يجلد بها كرباج الوداع بدون شفقة، باتت تكره مراسم الوداع؛ فالذين تحبهم لا تودعهم.. في الحقيقة هم لا يفارقونها قط! إنها لحظات شبيهة بالصدق، كثيفة الفضول.. بالغة التوتر! تختزل فيها تلك التفاصيل عديمة الأهمية وتتعامل مع الروح بعد توجهها، يوما بعد يوم تدرك أن الموت هو ذلك الفكر والحقيقة الوحيدة الراسخة في هذا الكون!

نعم ميرا تحبه، لا بل تعشقه، فهو والدها وصديقها وكل من تعرف في ذلك الكون الباهت، كان نوح واقفًا خلف الباب ولم يكد يسمع كلمات ميرا إلا وقد انهار في البكاء هو الآخر، فبرغم كل ما قام به فريد إلا أنه سيظل صديق عمره الذي أفنى شبابه من أجله، نعم فـ (**نوح**) لم يتزوج ولم يشغل حياته قط إلا من أجل شركات فريد وأعماله وابنته! فقد قضى نوح أغلب أوقاته الفارغة بصحبة الفتاة، كان وما زال لها عمًا بحق.

دخل نوح الغرفة فوجد ميرا على تلك الحالة وقد انتابتها هيستيريا من البكاء مع عبارة: (**وحشتني يا بابا، وحشتني..**)

أمسك نوح بيدها فنهضت وهي في تلك الحالة، ربت نوح على كتفها مواسيًا إياها، ثم غطى وجه فريد مرة أخرى واصطحبها للخارج لتهدأ قليلا، جلسا على تلك الأريكة الذهبية الموضوعة أمام باب غرفة فريد في الطابق الأول من القصر.. بدأ نوح حديثه متوترا من حالتها ومن القرار الذي ستهم باتخاذه في هذا الأمر:

- فريد ما قالش قبل ما يموت عايز يندفن فين يا ميرا..لازم تاخدي قرار يا بنتي.

تنهدت ميرا بعمقٍ، ثم أجابته في نهنهةٍ حثيثة:

- حضرتك شايف إيه يا عمي؟!
- أنا شايف إنه لازم يندفن في مصر.. الإجراءات كتير آه.. بس مفيش غير كدا.

هزت رأسها إيجابًا فاستطرد نوح:

- لازم تكوني موجودة في الإجراءات كلها يا ميرا، انتي بنته والمسئولة!

نظرت له نظرة حادة وردت بيأس:

ـ أنا هعمل لحضرتك توكيل وممكن تقوم بكل دا ورامي معاك، أنا عندي حاجة تانية مهمة وما تستناش.

أدرك نوح ما تقصده ميرا فوافقها على الفور، بعد نصف ساعة أمسك كل منهما هاتفه؛ فحدَّث نوح رامي وسائر وأخبرهما بما حدث وأن عليهما الاستعداد للعودة إلى أرض الوطن.. بينما أرسلت ميرا لرهف رسالة نصية كالآتي:

«**بابا مات يا رهف، ها يتدفن في مصر، طبعًا الإجراءات ها تاخد لها حوالي يومين تقريبًا؛ فأنا هعمل توكيل لمحامي وصاحب بابا علشان يقوم بكل حاجة ومعاه رامي، نسيت أقول لك إن ابن أخو بابا هو نفسه خطيب سمر أخت أمل، أنا هكون عندك النهاردة بليل، يا ريت تعملي اللي اتفقنا عليه، وزي ما قلت لك روز عندك علشان أبعدها عن سائر، مش عايزاه يأذيها بأي شكل من أفعاله الحقيرة.. واما آجي هاحكي لك عن كل اللي حصل امبارح.. سلام**»

◈

قرأت رهف ما أرسلته لها ميرا، وبدأت ملامحها تتغير رويدًا، لاحظت أمل التغيير الذي طرأ على رهف بعد قراءتها الرسالة فسألتها مستنكرة:

ـ خير يا رهف حصل حاجة!

رفعت رهف رأسها قليلًا، ونظرت لها نظرةً حادة مصاحبة لابتسامةٍ خبيثة، ثم أجابتها:

ـ هاقول لك كل حاجة.

ساعة كاملة من الحديث المتتابع، نعم فقد أخبرتها بما فعله سائر بها، أخبرتها بعلاقاته المشبوهة مع عاهرات المكسيك، خلعت ملابسها وعرضت لها آثار أظافر سائر على جسدها، نعم فقد أخبرتها أيضا بقتله لرامز، فأكبر عقاب له في الدنيا هو الفضيحة، أما عقاب الآخرة الذي سيناله لا يمكن وصفه حقًا!

زفرت آخر كلماتها قبل مغادرة منزل أمل:

- أنا عايزاكي تفوقي من وهم سائر اللي مُحتلِّك دا، دا مش لونك، إنتي ملاك وهو شيطان، لو في حاجة أحقر من كدا كنت وصفته بيها، إنتي جنة للي يحبك بجد وتحبيه، إنما هو جهنم، نار بتاكل كل اللي حواليها، القسوة هي منهج حياته، انسيه بقى.

انطلقت رهف بعد تلك الكلمات ولم تنتظر أي رد فعل من صديقتها، مضت لتخبر صافي بقدوم ميرا وطلبت منها الدعاء بأن يوفقهما الله فيما سيقومان به، فالقادم ليس بأسهل من الذي مضى على الإطلاق!

يومان من الاستعداد لاستقبال تابوت جثة فريد الخولي، قررت ميرا أنها لن تذهب إلى المطار قط في ذلك اليوم، في اليوم الثالث على وفاة فريد والأربعين على قتل رامز؛ قررت وبدون تردد أن ترتدي الأسود! ذلك اللون الذي ابتعدت عنه طوال الفترة الماضية، استيقظت في السادسة من صباح يوم مشمس، دخلت الشرفة لدقائق فداعبت نسمات الهواء شعراتها الناعمَة.. ثم دخلت الغرفة مجددًا لتوقظ رهف وبدأتا في ارتداء ملابسهما، ارتدت ميرا فستانًا أسودًا وارتدت رهف بلوزة طويلة وصلت حد ركبتيها، وضعتا ذلك الحجاب الأسود الشفاف ذا النقوش السوداء على أطرافه، ثم همتا بوضع نظاراتهما السوداء الشمسية وخرجتا من الغرفة

على أتم الاستعداد لذلك اليوم البائس، فلأول مرة منذ ما فعله سائر برهف ستلتقي عيناها بعينيه، ودعتهما صافي بحرارةٍ وبكاءٍ شديد وكأن مشاعر الأمومة الخاصة بها أخبرتها بما سيدور بذلك اليوم.

وصلت الفتاتان إلى المقابر منتظرتين حضور نوح ورامي وسائر ونعش فريد، دقت الساعة الثامنة وكانوا قد وصلوا، نعم جميعهم وصلوا، ثلاثة رجال يحملون النعش وقد بدا أنهم شيوخ من ملابسهم وما يرددوه من آيات قرآنية، أما خلفهم فكان يسير نوح في المنتصف وعلى يمينه سائر؛ كان يرتدي بدلة سوداء قاتمة.. أما على يسار نوح فكان رامي يمشي بخطواتٍ هادئة وقد بدا على أنفه الاحمرار وكأنه كان يبكي!

انتهت مراسم الدفن وقد جفف الجميع دمعاتهم برفق، أما سائر.. ذلك المتحجر، فلم يذرف عَبرة واحدة، كان يتأمل رهف التي كانت متجاهلة وجوده تمامًا بشكلٍ آثار الرعب بوجدانه، قاربت الساعة من الواحدة ظهرًا وقبل أن يمضواً من المقابر همس نوح بأذن ميرا قائلًا:

ـ في ظرف فريد الله يرحمه سايبه معايا، ولازم تقريه في أسرع وقت يا ميرا.

نظرت له ميرا بحدةٍ قائلة:

ـ مش وقته يا عمي، بعدين.

حرك رأسه إيجابًا، ثم همس لرامي بأن يذهبوا فقد طال وجودهم بذلك المكان الذي لا يأتي من خلفه سوى ضيق الأنفاس فقط، سار نوح ورامي في المقدمة وخلفهما بحوالي متر سار سائر ببطءٍ شديد وكانت خلفه الفتاتين، لم يلبثوا دقائق وقد تعثر سائر في حجرٍ كبيرٍ على الأرض.. شروده منعه من الانتباه إليه، سقط على وجهه وقد نزف أنفه إثر السقوط،

وقف بعد أن تسند على يدٍ وجدها ممدودة له، ولكنه بعد تنظيف ملابسه من ما كان عليها من تراب نظر حوله متأملًا فلم يجد أحدًا ممن كانوا يسيرون خلفه أو أمامه.. لحظات من محاولات إيجاد أحد باءت بالفشل، وبدون مقدمات سمع صوتًا آتيًا من خلفه وقد لحق به الصدى بسبب خلوّ المكان:

ـ أنا هنا يا سائر.

التفت سائر تجاه الصوت وبالفعل قد وجد مَن ظن به، إنها ميرا، زفر غاضبًا:

ـ ميرا!

ـ أيوه ميرا.. ميرا اللي كدبت عليها كتير، ميرا اللي أبوها اللي اتدفن دلوقت كان شريكك.

قاطعها صارخًا:

ـ أنا ماكنتش شريك حد، أنا كنت بنفذ بس.

ـ اخرس يا سائر، ماتقاطعنيش.

اقتربت منه بعض الخطوات قائلة وقد سالت دمعاتها:

ـ ميرا اللي قَتَلت حبيبها في حضنها من غير أي رحمة لمجرد إنه خايف عليك!

تحولت نبرتها للمزيد من القسوة قائلةً:

ـ اللي اغتصبت صاحبتها!

نظر لها وقد اتسعت حدقتاه في صدمةٍ، فلم يكن متوقع أن تبوح رهف بما حدث لها بمنزله، أكملت ميرا في غضبٍ وقد وجهت ذلك

السلاح في وجهه، نعم إنه نفس السلاح الميري الذي اخترقت رصاصاته رامز:

ـ لازم تعرف كل حاجة قبل ما أخلص عليك، عارف إن اللي كان بيوصل الريكودرات والفيديوهات لرامز هي روز اللي كل كام يوم في حضنك على سريرك القذر!

لم يستطع سائر النطق من تلك الصفعات التي يتلقاها واحدة تلو الأخرى فأكملت ميرا:

ـ حسابك مع فريد الخولي خلص، بس حسابك معايا مخلصش يا سائر.. أنا هاخد روحك بإيدي.. فاهم!

لم يتحرك سائر من مكانه قط لدرجةٍ استغربتها الفتاة، لكنها سألته محاولةً فهم سر ثباته هذا:

ـ إنت ما هربتش مني ليه، واقف بتبص لي كدا ليه؟!

قالتها وقد اشتد عنف صوتها وغضبها وما زالت موجهة ذلك المسدس تجاهه.

ـ علشان بحبك.

◈

ساد الصمت للحظات وهي تنظر له غير قادرةٍ على استيعاب كلماته، زفرت مستنكرة:

ـ حب! إنت تعرف الحب؟! ليك عين بعد كل دا تقول حب! أشكال الحب اللي في الكون كله بريئة منك، إبليس مابيعرفش يحب غير مصلحته، ما بيحبش غير الأنانية والوساخة وبس.

ـ لكن أنا بحبك يا ميرا، بحبك ومعنديش مانع ولا هتردد إني أموت على إيديكي.

اقترب من ميرا أكثر وأمسك يديها واضعًا مقدمة المسدس على رأسه، وقال باكيًا وقد اغرورقت وجنتيه وملابسه بالدموع:

ـ اضغطي.. اضغطي يا ميرا.

صرخت ميرا صرخةً عالية بعد أن سمعت صوت طلق عياري يخترق سائر، نظرت لرأسه فلم تجد آثار دماء، نعم هي لم تضغط على الزناد ولم يكن بنيتها الضغط عليه، شرع سائر في السقوط أرضًا بعد أن امتلأت ملابسه بالدماء وبدأت تظهر هوية القاتل، وحدث ما لم تكن تتوقعه ميرا! رأت أمل واقفة وقد ملأ السواد عينيها ويديها ترتعش؛ ممسكةً بمسدس وضحكاتها قد ملأت المكان وكأنها انتصرت على أحد أعدائها.. كان منظرها مرعبًا إلى حدٍ كبير، ألتلك المرحلة قد وصلت؟! يا إلهي ما أقسى الزمن حين يفتك بقلوبنا ومن ثمَّ أرواحنا وعقولنا.

سقط سائر فاقتربت أمل ونظرت كلتا الفتاتين له، ميرا تتأمل بسخريةٍ واحتقار لنهايته البشعة.. أمل تبتسم وتتسع ابتسامتها تدريجيًا إلى حد القهقهة.. لم ينطق سائر بل ظل محدقًا بأمل وميرا وانسحبت روحه ببطءٍ ويمينه ممسكة بطرف فستان ميرا! في تلك اللحظة كان كلًا من نوح ورهف والشرطة محدقين بذلك المشهد غير مصدقين ما حدث بالمرة، فقد فاجأ حضور أمل الجميع!

في صباح اليوم التالي والذي لم تغمض لأحد عين في فجره، رتبت رهف على كتف ميرا في رقةٍ؛ فانتفضت ميرا وكأنها رأت كابوسًا مرعبًا، حقًا فما مرت به ميرا أقسى وأقوى من مجرد كابوس لعين ينتهي بالاستيقاظ.

قالت رهف وقد بدا على صوتها الإرهاق وحول عينيها انتشر اللون الداكن من قلة نومها وأرق الأيام الماضية:

ـ أستاذ نوح بره وعايزك ضروري، بيقول لازم يشوفك.

ـ حاضر.. هاغير هدومي واطلع له.

قالتها ميرا بصوتٍ متهدج لا يعتريه سوى الفتور.. خرجت ميرا لترى الذي يريده نوح ولا يمكنه الانتظار بضع ساعات بسببه! جلست أمامه وقد طلب من رهف الانفراد بميرا قليلًا.. قال مبتسمًا:

ـ لعنة سائر خلصت.

نظرت له بابتسامةٍ هادئة تدل على الاطمئنان والارتياح قائلة:

ـ الحمد لله يا عمي.

أخرج من جيبه الأيمن ظرفًا أبيضَ ووضعه في يدها، ثم قال:

ـ كدا دي آخر حاجة سابهالك فريد معايا.. وكدا أقدر أستأذن بقى، عايز أتمشى في اسكندرية شوية، وحشتني قوي.

نهض نوح، ثم أمسك بيمينها وقام بتقبيلها كما حدثته مسبقًا عن تلك المشاهد في أفلام الخمسينات، ثم قال مبتسمًا:

ـ يومك سعيد يا أميرتي.

احمرت وجنتيها خجلًا وضحكت بصوت خافت، ثم سحبت يدها ببطءٍ وعلى الفور انصرف نوح من منزل رهف.

نظرت ميرا للظرف متأملاه بعض الوقت، ثم دخلت رهف تسألها عن محتواه، لكن ميرا أنكرت قراءتها للجواب، لم يكن بمقدور ميرا أن تقرأ بعض الكلمات؛ فكانت عيناها تؤلماها بشدة، أعطت رهف الظرف طالبة منها قراءته؛ فميرا لا تخفي شيئًا عن رهف ولذلك لم تكترث لأن تقرأه هي.. بدأت رهف قراءته ببطء.. خمس دقائق من القراءة المتواصلة للجواب الذي كان عبارة عن تعبيرٍ من فريد عن عشقه الشديد لميرا إلى أن وصلت إلى نهاية الجواب، توقفت رهف للحظاتٍ وعقد لسانها عن الحديث، احمرت عيناها وتبدل لونها وكأن أحدًا قد دس سكين في ظهرها، نظرت ميرا لها متعجبةً، ثم قالت مستنكرة:

ـ مالك يا بنتي؟ سكتي ليه؟ كملي كملي.

ما الذي يحدث لتلك الفتاة؟! سقط الجواب من يديها فالتقطته ميرا وهي تنظر لها عاقدة حاجبيها غضبًا وتعجبًا مما يحدث.

أكملت قراءته في هدوءٍ، وقد طرأ على صوتها التهدج والاضطراب هي الأخرى:

«**من حقك تعرفي مين هي أمك، بس أرجوكي ما تزعليش مني يا بنتي إني داريت، كنت عايزك جمبي أنا بس وما حدش ياخدك مني، بس دلوقتي مش ها ينفع، أنا ماشي ومش راجع، إنتي ليكي أخت في مصر أصغر منك بسنة، والدتك اسمها «صفية عيد عبد الرحمن**»، يا ريت والله لو توصلي لها وماتسيبيهاش، سامحيني يا بنتي.. سامحيني».

انتهت ميرا من قراءة الجواب، وقد شردت هي الأخرى بكلمات والدها التي لم تتوقعها يومًا، أظَهر لها شقيقة أيضًا في ذلك التوقيت؟! وأمها لم تمُت بعد؟ ماذا عن حديث نوح بأنها فتاة يتيمة الأب والأم؟

أكان يكذب أم كان يجهل تلك الحقيقة هو الآخر؟ ما الذي حدث لرهف وما الذي أثار عاطفتها لهذا الحد؟ نعم إنها تبكي وقد صُدِمت كما بدا على ملامحها! تلك التساؤلات تجمعت في ذهن ميرا إلى حد التكدس، أمسكت بكف رهف وسألتها بلطفٍ:

- بتعيطي ليه؟ المفروض أنا اللي أعيط، فاهمة يعني إيه أمي عايشة وليا أخت؟!

قاطعتها رهف بعنفٍ قائلةً:

- صفية عيد عبد الرحمن هي صافي يا ميرا، افهمي!

ضحكت ميرا ساخرةً من كلماتها، ثم ردت:

- هي آه زي ماما بس ماتهزريش في حاجة زي دي.
- مش بهزر، صفية عيد أمي، سمعت من فترة كبيرة إن كان ليا أخت أكبر مني بس اتخطفت وهي عندها كام شهر وربنا رزقهم بيا بعدها.. ساعتها ما قدروش يلاقوها والله أعلم إيه اللي حصل لها.
- إنتي بتقولي إيه؟ اتجننتي يا رهف!

قالت رهف وقد ابتسمت وأمسكت بيدي ميرا:

- مش مجنونة لأ، إنتي أختي، إنتي أختي اللي بعدوها عني زمان، إنتي يا ميرا.

شعور لا يسع أحد فهمه إلا مَن عاصره، خليط بين السعادة والصدمة والتعجب من ما كُتب بأقدارهما، ظلت الفتاتان تبكيان بين أحضان بعضهما، رهف تلمس وجه ميرا وكأنها تتأمل تفاصيل ملامح طفل حين ولادته، وميرا تمسح على شعر أختها في غير تصديقٍ لما قرأته وما قالته

رهف، أفاقت الشقيقتان على صوت نشيج والدتهما التي كانت تتأمل ما يحدث وهي عند الباب؛ فمن شدة صدمة الفتاتين لم يلحظا وجودها حتى! أسرعت ميرا تحتضنها وكأنها تراها للمرةِ الأولى، بالفعل كانت تلك المرة الأولى التي تراها فيها كوالدتها وليست كوالدة رهف فقط! وأخيرًا قد وجدت الأمان الذي افتقدته طوال حياتها، أمان حضن وعيون والدتها، يا لقسوة الحياة دون أم!

◈

عاد رامي لسمر وروى لها كل ما حدث معه منذ سفره إلى الآن، بالطبع سنها البريء جعلها لا تكترث لشيءٍ سوى لحصول رامي على شركة كبيرة خارج مصر؛ فسيسمح له هذا بأن يأتي لها يوميًا بالمجوهرات والملابس الباهظة الثمن، أما هو فلم يكن بأقل سعادة من خطيبته الصغيرة سمر.

انتهى الزمن بأمل في إحدى المصحات العقلية؛ فقد أقر أحد الأطباء بأنها ليست بكامل قواها العقلية وتعاني من خلل في وظائف المخ أدى إلى شلل في الجهاز العصبي، يا لها من مسكينة! كانت تتحرك بطريقةٍ جنونية، وتغني بلغةٍ غير منتظمة أو مفهومة إلى أن فقدت عقلها.

أما نوح فقد عاد إلى شركته بالمكسيك، نعم فقد تنازلت له ميرا عن كل ما تملكه في تلك البلدة، على الأرجح أن حياته ستبدأ الآن بالبحث عن من تشاركه سنوات عمره أو ربما أيامه المتبقية في هذا العالم!

سامحت ميرا أباها على كل ما فعل، حتى أنها أقنعت عقلها أن بإمكانها نسيان ما حدث.

◈

يومٌ ماطِر والشمس تبدو كأنها تعانق المطر بعد اشتياق، قررت ميرا ارتداء ما اشتهت من الملابس وزيارة قبر والدها فريد الخولي، وأيضًا قراءة بعض الآيات لتطمئن روحه هو ورامز، جلست ميرا أمام قبر فريد بعد زيارتها قبر رامز وحدثته قليلًا عن ما تشعر أو تُكن له.. وضعت بعض الأزهار الحمراء التي قد ابتاعتها وهي في طريقها للمقابر أمام القبر ودعت له بالمغفرة، نهضت ونظفت ملابسها مما عليها من ترابٍ استعدادًا للرحيل.. شابٌ يقف على بعد ثلاثة أمتارٍ منها يتأمل ما تفعله، يستمع إلى كلماتها مع والدها.. وقفت ترمق ملامحه جيدًا التي استوقفتها قليلًا؛ فملامحه باتت مألوفة بالنسبةِ لعينيها، نعم تذكرَته، إنه أحمد!

- إزيك يا ميرا.
- أحمد، صح؟
- بالظبط، أنا أحمد.
- أنا كويسة، بتعمل إيه هنا؟
- كنت بزور مريم، بقالي شوية هنا.
- أيوه افتكرت.

تأمل أحمد عينيها لدقائق وكأنما اشتاق لهما! اقترب منها قائلًا في ابتسامةٍ بريئة:

- تعالي نخرج من المكان دا ونتمشى على الشط شوية، اشتقت للبحر.

وافقت ميرا وبالفعل سحب يدها، أمسكها بحنانٍ وانصرفا متجهين إلى الشاطئ.. شاطئ المعمورة!

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution